جمع المأثورات الشفهية



د. سعد العبدالله الصويان

الطبعة الأولى
١٩٨٥ م

المحتـــويات

الموضـوع	الصفحـة

الموضـوع	الصفحـة

تصدير

يستعرض هذا الكتيب أهم خطوات العمل الميداني وبعض الطرق المتبعة فى جمع مواد المأثورات الشعبية من مصادرها الشفهية ، مع التركيز على جمع الشعر الشفهي في قلب الجزيرة العربية ، أو ما يسمى بالشعر النبطي . ومن المسلم به أن عملية الجمع الميداني لا تقتصر على جمع النصوص فحسب ، بل هي تتعدى ذلك إلى مسائل أخرى ينبغي أن تحظى بعناية الباحث . فلقد بدأ الباحثون الفلكلوريون مؤخراً يوجهون اهتمامهم إلى حياة الرواة والإخباريين وإلى البيئة الاجتماعية والظروف الحضارية التي نبعت منها المادة الشعبية . ولم يعد الباحث العصري قادراً على تجاهل الوسط الاجتماعي الذى يستمد منه الرواة مادتهم والإطار الأدائي الذي يتحركون فيه . وكان لغزو الأدوات التكنولوجية الحديثة مثل آلات التصوير والتسجيل أثر جذري في تطوير مناهج البحث الميداني ، لذا أصبح التمرس في تشغيل وصيانة هذه الأجهزة جزءاً لا يتجزأ من عملية إعداد وتأهيل الباحث الميداني . بالإضافة إلى هذه القضايا ، يتعرض هذا البحث إلى مسائل أخرى مثل الاستعدادات الأولية التى تسبق الذهاب إلى الميدان ، والبحث عن الرواة والإخباريين ، وخلق جو من الثقة والوئام بينهم وبين الباحث ، وكيفية إجراء المقابلات معهم وطرق استجوابهم واستدراجهم إلى الحديث ، ثم طرق فهرسة وأرشفة المواد الشفهية بعد جمعها . ويتحدث الجزء الأخير من هذا البحث عن جهود العرب الأوائل في مجال العمل الميداني ، خصوصاً فيما يتعلق بجمع اللغة والشعر من أبناء البادية ، للتأكيد على أن العمل الميداني ليس من مستحدثات الغرب في القرن العشرين .

هذا ويتضمن البحث ثلاثة ملاحق : الملحق الأول يهدف إلى تعريف القارىء بإحدى الطرق المتبعة في فهرسة تسجيلات المأثور الشعبي ، وهو عبارة عن فهرس لأحد الأشرطة المسجلة ضمن مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية .

والملحق الثانى صورة من الطلب المقدم إلى مركز البحوث بكلية الآداب لتمويل مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية ، وذلك من أجل أن يطلع القارىء على الطلب كنموذج للصيغة التي يقدمها صاحب البحث أو المشروع للجهة الممولة . أما الملحق الثالث فهو المذكرات الميدانية التي دونتها خلال رحلتي إلى منطقة حائل في شهر شوال ١٤٠٤ هـ .

د. سعد العبدالله الصويان
جامعة الملك سعود
١٤٠٥/١/١ هـ

العمل الميدانى

مناهجه وقضاياه

١ - توطئة

تتألف عملية البحث في مجال المأثور الشعبي من ثلاث مراحل متتالية ، هي : مرحلة جمع المادة من مصادرها الشفهية (والتحريرية) ، تليها مرحلة تصنيف ما تم جمعه وفهرسته وإيداعه في أرشيف ، ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الدراسة والتحليل . فمرحلة الجمع هي المرحلة الأولى والأساسية التي تحتل مكان الصدارة والتي ترتكز عليها المرحلتان التاليتان ، لذا ينبغي تنفيذها وفق خطة بحث مدروسة وحسب منهج علمي دقيق حتى نضمن سلامة النتائج . إلا أن الكتب التي تتناول العمل الميداني في مجال الفلكلور نادرة جداً أو شبه معدومة لا في اللغة العربية فحسب بل في جميع اللغات . ويرجع السبب في إحجام علماء الفلكلور عن طرق هذا الميدان إلى أن غالبيتهم يشعرون بأن العمل الميداني موهبة تولد مع الإنسان وفن تصقله التجربة والمراس قبل أن يكون علماً يكتسب عن طريق القراءة وفي صالات التدريس ، ولايزال علم الفلكلور يعاني نقصاً واضحاً في هذا الصدد لقلة المؤلفات التي توضح أساليب الجمع وتنظم خطوات العمل وتحدد مناهج البحث . والكثيرمن الفلكلوريين يلجؤون إلى مؤلفات الأنثروبولوجيين ليستعينوا بها في عملهم الميداني لما بين هذين العلمين من قرابة وترابط[١] .

ولو استعرضنا المؤلفات التي كتبت لتكون مقدمات أو مداخل إلى علم الفلكلور لوجدنا الكثير منها لايتطرق إلى العمل الميداني بتاتاً ، والتي تتطرق له تفعل ذلك في صفحات قليلة جداً . مثلاً نجد أن الكتاب الذي ألفه جورج لورنس جوم George Laurence Gomme وعنوانه **The Handbook of Folklore** يتكلم عن العمل الميداني فيما لايزيد عن ست صفحات[٢] . ويزداد عدد الصفحات من ست إلى أربع عشرة صفحة حينما أعادت شارلوت صوفيا بيرن Charlotte Sophia Burne طبع الكتاب بعد تنقيحه بتكليف من جمعية الفلكلور البريطانية[٣] . أما في الكتاب الضخم الذي ألفه سيان أو سلبان Sean O Suilleabhain عن الفلكلور الايرلندي بعنوان **A Handbook of Irish Folklore** فلا يزيد عدد الصفحات

التي تتناول العمل الميداني عن ثلاث صفحات[٤] . ويخصص كينيث وماري كلارك Kenneth and Mary Clarke في كتابهما **Introducing Folklore** حوالي خمس صفحـات للعمل الميـداني[٥] . ولا يخصص جان هـارولدبـرونفاد Jan Harold Brunvand لهذا الموضوع إلا أقل من أربع صفحات في كتـابه **The Study of American Folklore**[٦] علماً بأنه من أحدث الكتب المدرسية التي تتحدث عن الفلكلور وأوسعها انتشاراً في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية .

وهكذا نجد أن مثل هذه الكتب التعليمية لا تفيد كثيراً في التعريف بخطوات العمل الميداني ، وأساليب جمع مواد المأثور الشعبي . وأحسن منها تلك الكتب التي يدون فيها أصحابها ما جمعوه في الميدان من مواد شعبية إذ غالباً ما يناقشون ، ولو بصورة عابرة ، العقبات التي اعترضت طريقهم في الجمع وكيف تم التغلب عليها . وقد يعقد بعضهم فصلاً كاملاً يتحدث فيه عن العمل الميـداني . ويعد ريتشـارد دورسون Richard M. Dorson من أنشط جامعي الفلكلور في الولايات المتحدة الأمريكية ولايخلو كتاب من كتبه العديدة من نظرات ثاقبة وملاحـظات قيّمة عن العمل الميداني . ويخصص فصلاً كاملاً في كتابه **Buying the Wind** للحديث عن أساليب الجمع الميداني[٧] . وتتحدث إميلين جاردنر Emelyn E. Gardner في كتابها **Folklore From The Schohaire Hills** عن تجـربتها في الميـدان وكيف استطاعت أن تقضي على الشكوك التي أثارها عامة الناس حولها وحول عملها[٨] . كما يتحدث جان لوماكس John Lomax في كتابه **Adventures of a Ballad Hunter** عن مغامراته في الميدان وعما لقيه من نجـاح أحيانـاً ومن إخفاق أحيـاناً أخرى[٩] .

وهناك عدة مقالات كتبت عن جمع الفلكلور[١٠] ، لكن ما يمكن الركون إليه منها في وضع خطة منهجية شاملة للجمع الميداني لايتعدى أصابع اليد الواحدة . فبعضها لا يتحدث عن أسـاليب الجمع الميـداني ولكن عما تم جمعـه في الميدان ، وبعضها ينحصر اهتمامه في حيز ضيق جداً من المأثور الشعبي كالأمثال أو الأحاجي أو ما شابهها . ومن أحسن ما كتب في هذا الموضوع مقالة ماك ادوارد ليتش Mac Edward Leach وعنوانها "Problems of Collecting Oral Literature" التي حث فيهـا الجـامعـين ألا يقتصـروا عـلى تـدوين نصـوص الأدب الشعبي ، وأوصاهم أن يأخذوا بعين الاعتبار المحيط الحضاري والسياق الأدائي وشخصيات

المؤدين ومواقفهم تجاه ما يحملونه من مأثورات شعبية وذلك من أجل التوصل إلى القيم الفنية والجمالية للأدب الشعبي[١١] . هذا وقد أسهم دونالد ماكدونالد Donald A. Macdonald في كتاب **Folklore and Folklife: An Introduction** الذي حرره ريتشارد دورسون بمقالة وافية تناول فيها بإيجاز أهم خطوات العمل الميداني[١٢] .

والكتب التي يخصصها مؤلفوها لبحث خطوات العمل الميداني وأساليب الجمع في مجال المأثورات الشعبية قليلة جداً ، بل نادرة ، كما ألمحنا سابقاً . وأكثرها رواجاً هو الكتاب الذي ألفه كينيث جولدستين Kenneth S. Goldstein عنوانه **A Guide for Field Workers in Folklore** ويقع في **١٩٩** صفحة[١٣] . وعلى الرغم من مضي عشرين سنة على تأليف هذا الكتاب وعلى الرغم من أنه يفتقد الكثير من مقومات العمل العلمي الرصين فإنه لايزال يحظى باهتمام الباحثين .

وهناك كتاب آخر قلما يرد ذكره على ألسنة الفلكلوريين وقلما يرد فى كتاباتهم إلا أنه لا يقل في قيمته العلمية عن كتاب جولد ستين ، بل إنه يفوقه في بعض الجوانب . ذلكم هو **The Tape-Recorded Interview** لمؤلفه ادوارد آيفز Edward D. Ives[١٤] . يبدأ آيفز بالكلام عن آلة التسجيل وطريقة عملها ويقارن بين تسجيل الكاسيت Cassette وتسجيل البكرة Reel ويوضح بعض المشاكل الميكانيكية التي تعترض الجامع في أثناء عملية التسجيل في الميدان ويقترح بعض الحلول لها . ثم ينتقل بعد ذلك ، خطوة خطوة ، إلى العمل الميداني وعلاقة الباحث مع الإخباريين وطرق التعامل معهم . ويتحدث الجزء الأخير من الكتاب عن فهرست المادة المسجلة وتفريغها وإيداعها في الأرشيف الصوتي .

ومن أوائل الفلكلوريين العرب الذين نبهوا لأهمية العمل الميداني وجمع المأثور الشعبي صفوت كمال في مقالته « جمع العناصر الشعبية » التي نشرها عام **١٩٦٨** م في مجلة ***الفنون الشعبية*** [١٥] .

وانطلاقاً من هذه المقالة ألف الطيب محمد الطيب ومصطفى مبارك مصطفى ومحمد عمر بشاره كتابهم ***دليل الباحث السوداني لجمع الفلكلور*** الذي ظهر سنة **١٩٧٣** م[١٦] . ومن المؤسف أن هذا الدليل يفتقر إلى الحد الأدنى من متطلبات التأليف العلمي . ولايتسع المقام هنا لحصر أخطاء اللغة والأسلوب والترجمة وتهجئة

الكلمات الأجنبية وأخطاء التوثيق الببليوغرافي التي يقع فيها المؤلفون . وفي عدة مواضع من الدليل ينتشل المؤلفون مقتطفات بالحرف الواحد من مقالة صفوت كمال الآنفة الذكر دون ذكر اسم الكاتب أو عنوان المقالة ، عدا إشارة عابرة في مقدمة الدليل ، أما المحاولة التي يدعي المؤلفون أنهم بذلوها في توطين الدليل ليتمشى مع متطلبات الجمع الميداني في السودان فإنها محاولة فجة لا يعتد بها . وبوجه عام ، فإن هذا الدليل لا يليق بهذا الفريق من الباحثين المختصين .

وفي سنة ١٩٧٠ م ألف محمد محمود الجوهري وعلياء شكري وعبدالحميد حواس دليلاً للعمل الميداني (سنتكلم عنه بعد قليل) ليسترشد به جامعو المأثورات الشعبية وقدموا له بمقدمة وافية تحدثوا فيها عن طبيعة العمل الميداني والطرق المتبعة في جمع المأثور الشعبي[١٧] . كما خصص الجوهري الفصل الرابع عشر من كتابه ***علم الفلكلور*** (الجزء الأول) للحديث عن العمل الميداني[١٨] ويتضمن هذا الفصل اقتباسات مطولة من الدليل المشار إليه آنفاً . ومما يؤخذ على الجوهري وزملائه طغيان المنهج الأنثروبولوجي على كتاباتهم في مجال الفلكلور . فمعظم المصادر التي عولوا عليها مصادر أنثروبولوجية والكثير من القضايا التي طرحوها أقرب إلى العمل الأنثروبولوجي منها إلى العمل الفلكلوري . ولاشك أن هناك علاقة وطيدة بين الأنثروبولوجيا والفلكلور كما سبقت الإشارة إليه ، ولكنهما على الرغم من ذلك يظلان مجالين متميزين من مجالات الدراسة والبحث العلمي ، لكل منهما نظرياته الخاصة ومناهجه المحددة . لذا ينبغي أن نحترس من الخلط بين المفاهيم وأساليب العمل المتبعة في هذين المجالين المختلفين .

وأكثر تمشياً مع مناهج البحث المعمول بها لدى الفلكلوريين ما ذكره أحمد علي مرسي في كتابه ***مقدمة في الفلكلور*** فبالإضافة إلى الملاحظات القيمة المتناثرة في ثنايا الكتاب يخصص مرسي فصلاً كاملاً يتناول فيه أساليب جمع الأدب الشعبي[١٩] . وينم عرض المؤلف في هذا الفصل لأساليب الجمع الميداني عن خبرته في هذا المجال وصلته المباشرة بحملة المأثور الشعبي من إخباريين ومؤدين . ولقد فصل القول في بعض القضايا وعالجها بشكل جيد ، مثل : قضية جمع جميع الروايات المختلفة للنص الأدبي . إلا أن هناك قضايا أخرى مهمة أغفل الحديث عنها أو مر عليها مرور الكرام ؛ مثل : طرق الملاحظة والمقابلة واستدراج الإخباري للإدلاء بما تختزنه ذاكرته من مأثورات شعبية . ولكن ما كتبه مرسي عن العمل

الميداني ينطبق عليه ما ينطبق على كتابه بشكل عام من حيث سوء الإخراج والطباعة الحافلة بالأخطاء وضعف الأسلوب وعدم الدقة وعدم التركيز في عرض الأفكار والتفاوت الواضح في المستوى بين أجزاء الكتاب . وهذه الأحكام تنطبق ، مع الأسف ، على جميع الأعمال العربية التي تطرقنا لها في الفقرات السابقة .

وهذا الكتيب الذي بين يدي القارىء يهدف إلى مواكبة مستجدات البحث الفلكلوري وسوف أحاول من خلاله سد الثغرات واستكمال بعض أوجه النقص التي تعاني منها المكتبة العربية فيما يتعلق بالبحث الميداني في مجال المأثورات الشعبية . وأود أن أؤكد هنا أن خبرتي في مجال العمل الميداني لا تقتصر على قراءة ما كتب في هذا الموضوع فحسب ، بل تتعدى ذلك إلى التجربة العملية والممارسة الفعلية . فبالإضافة إلى الاشراف على الأعمال الميدانية المتواضعة التي أكلف طلابي بإعدادها أقوم حاليا بتنفيذ مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية الذي يموله مركز البحوث بكلية الآداب في جامعة الملك سعود[٢٠] . ومنذ أن تمت الموافقة على المشروع من قبل المجلس العلمي بالجامعة في ربيع الأول **١٤٠٣** هـ قمت بتسجيل مائتي ساعة من الحوار مع ما لايقل عن ستين راوية من رواة الشعر والقصص في بادية الجزيرة العربية ، ولايزال العمل مستمراً . وقد أتاح لي هذا المشروع ممارسة العمل الميداني المكثف ، والاتصال المباشر مع حملة المأثور الشعبي ، والتعرف على مشاكل العمل الميداني وكيفية التعامل معها . وقبل الذهاب إلى الميدان كنت قد قرأت كل ما وقعت عليه يدي من كتابات تتحدث عن العمل الميداني ، واستفدت كثيراً من خبرات الآخرين في هذا المجال .

ومن المعروف أن عملية الجمع الميداني تختلف في حجمها وطريقة الإعداد لها باختلاف هدف الباحث وإمكاناته . وقبل أن نبدأ بالحديث عن العمل الميداني المكثف الذي يتطلب الإعداد له الكثير من الوقت والجهد والمال والخبرة العلمية نلقي نظرة عاجلة على بعض الأعمال الميدانية المحدودة في أهدافها وفي إمكاناتها المادية والفنية .

٢ - الأعمال الميدانية المحددة

١ر٢ - الجهود الفردية :

نقصد بذلك أن أي فرد بإمكانه مثلاً أن يعمل ملفاً خاصاً يجمع فيه كل مايقع عليه سمعه وبصره من مواد شعبية تستحق الجمع والتسجيل ، فيتخذ من محيطه الاجتماعي المباشر ميداناً للبحث والتنقيب بدلاً من أن يتجشم الصعاب ويشد الرحال إلى مناطق نائية في الريف أو البادية . وفي مثل هذه الحالة يستعين الجامع بأقاربه ومعارفه وأصدقائه والناس المحيطين به وزملائه في العمل ليمدوه بما لديهم من مأثورات شعبية . كما أن الجامع نفسه يحاول دائماً أن يتذكر مايعرفه من مواد شعبية فيدونها ويضيفها إلى الملف . وهذا بدون شك عمل مشروع ومفيد علمياً ولا يكلف الكثير من الوقت والجهد والمال إلا أنه يحتاج إلى قدر كبير من المثابرة والمواظبة ، وشيء من الإلحاح في الطلب بحيث لايدع الجامع صغيرة ولاكبيرة تفوته دون أن يسجلها في الحال ، فلا يعتمد على ذاكرته ويقول مثلاً : « سأحتفظ بها في الذاكرة وأدونها في أقرب فرصة » . ومن المستحسن أن يحمل الجامع معه دائماً كراسة صغيرة وقلماً لهذا الغرض . وقد تمر السنوات الطويلة قبل أن يتجمع لدى الباحث المادة الكافية للنشر . ومع الأسف أن الكثيرين ممن يتبعون هذه الطريقة في الجمع يفقدون حماسهم بعد مضي بضعة أشهر ويتخلون عن متابعة الجمع .

ولو ألقينا نظرة عابرة إلى ما تم جمعه ونشره في البلاد العربية من كتب المأثور الشعبي لوجدناها في الغالب تنطلق من هذا المنهج ، أي أنها تعتمد على الجهود الفردية . وهذا دليل واضح على جدوى العمل الفردي وفعاليته إلا أنه يظل محدوداً إذا ما قيس بسبل الجمع الأخرى .

٢ر٢ ـ دليل العمل الميداني :

وهناك طريقة أخرى لجمع المأثورات الشعبية وهي طريقة الاستبيان Ques-tionaire التي كان معمولاً بها في أوربا منذ القرن التاسع عشر[٢١] . والاستبيان ، كما هو معروف ، عبارة عن أسئلة محددة تتعلق بموضوع معين يبعث به الباحث إلى جهات متعددة للإجابة عليها وإعادتها إليه . وشيئاً فشيئاً تطورت فكرة الاستبيان وتحولت إلى دليل موسع وشامل يتطرق إلى جميع نواحي الحياة الشعبية ، ويطبع على شكل كتاب يكون في متناول الهواة والمهتمين بجمع المأثورات الشعبية .

ومن أشهر وأقدم الكتب الإنجليزية التي استخدمت لهذا الغرض دليل أسهم في إعداده لجنة من المعهد الملكي للدراسات الأنثروبولوجية في بريطانيا العظمى وإيرلندا The Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland وعنوان الدليل **Notes and Queeries in Anthropology** ونشر لأول مرة عام **١٨٧٤** ثم تتالت طبعاته بعد ذلك[٢٢] . وفي عام **١٨٨٧** أوصى مجلس جمعية الفلكلور البريطانية (التي كانت قد تأسست عام **١٨٧٧**) بنشر دليل كان قد أعده جورج لورنس جوم George Laurence Gomme (وهو أحد أعضاء المجلس) خصيصاً للعمل الميداني في مجال المأثورات الشعبية . وتم نشر هذا الدليل عام **١٨٩٠** تحت عنوان **The Handbook of Folklore** كما سبقت الإشارة إليه[٢٣] . وأعيد نشر هذا الدليل عام **١٩١٤** بنفس العنوان ولكن تحت اسم شارلت صوفيا بيرن Charlotte Sophia Burne[٢٤] التي قامت بإيعاز من جمعية الفلكلور البريطانية بإعادة صياغة الدليل وتزويده بالكثير من المواد الجديدة . وفي عام **١٩٢٩** قام إيوروورث بيت Iorwerth C. Peate بنشر دليل لجمع المأثورات الشعبية في ويلز وعنوانه **Guide to The Collection of Welsh Bygones**[٢٥] .

وإضافة إلى جهود العلماء في بريطانيا فقد ساهم علماء الفلكلور في السويد مساهمة فعالة في ضبط وتنظيم عملية جمع وتصنيف المأثورات الشعبية[٢٦] . ففي

سنة ١٩٣٤ قام كل من أيكي كامبل Aake Campell وهيرمان جاير Herman Geijer وسفن ليليبلاد Sven Liljeblad بتصميم فهرس موضوعي شامل لجميع مواد الفلكلور السويدي التي يضمها أرشيف معهد البحوث الفلكلورية واللهجات في أوبسالا Landsmaalsarkiv (Dialect and Folklore Archive) ولقد كان هذا المخطط من الدقة والشمول بحيث عول عليه سيان أو سلبان Sean O Suil-leabhain من جمعية الفلكلور الايرلندية The Irish Folklore Commission حينما ألف دليل جمع المأثورات الشعبية في إيرلندا الذي نشره عام ١٩٤٢ بعنوان **A Handbook of Irish Folklore**[٢٧] . ويعتبر دليل أوسلبان من أحسن ما ألف في هذا المجال .

وفي العالم العربي قام محمد محمود الجوهري وعلياء شكري وعبدالحميد حواس كما سبق أن ألمحنا ، بعمل دليل خاص بجمع المأثورات الشعبية في مصر والعالم العربي . وصدر الجزء الأول من هذا الدليل عام ١٩٧٠ م تحت عنوان ***الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية***[٢٨] . ولقد استعان الجوهري وزملاؤه في تصميم دليلهم بخبرات العلماء الأوربيين إلا أنهم حاولوا أن يكون عملهم متمشياً مع طبيعة الثقافة الشعبية في مصر .

ويراعى في تصميم دليل العمل الميداني أن تكون هناك خطة حصر مفصلة ومنظمة تشمل جميع مواد المأثور الشعبي ومظاهر الحياة الشعبية وتحيط بجميع جوانبها المادية والروحية والمعنوية . ويقسم الدليل إلى عدة أبواب يمثل كل منها جانباً رئيساً مستقلاً من جوانب الحياة الشعبية . وتتفرع الأبواب إلى مواضيع ، والمواضيع تتجزأ إلى عناصر ، وهكذا على نسق يشبه إلى حد ما تقسيم الكتب فى المكتبة على حسب فروع المعرفة الإنسانية ، والغرض من هذا التقسيم لايقتصر فقط على تهذيب أساليب الجمع الميداني بل يتضمن أيضاً رسم مخطط شامل لفهرست المواد المجموعة وتصنيفها وإيداعها في الأرشيف بطريقة علمية دقيقة منظمة تضمن بقاءها وتيسر سبل استرجاعها لاستعمالها والاستفادة منها من قبل الباحثين . وهنالك علاقة وطيدة وتفاعل مستمر بين عملية الجمع وعملية الحصر إذ أن كلاً منهما قائمة على الأخرى . فعملية الحصر ليست إلا محاولة دائبة لتنظيم وتنسيق المواد المجموعة ، كما أن عملية الجمع تهدف إلى سد الثغرات وملء الفجوات التي تبرز أثناء الحصر .

وفكرة إعداد دليل للعمل الميداني تنبثق عادة من هيئة علمية كجامعة أو معهد أو مركز دراسات لديه الإمكانات الكافية لتجنيد فريق من الهواة والمهتمين بجمع المأثورات الشعبية الذين لديهم الرغبة والحماس للعمل الميداني ولكن تنقصهم الخلفية العلمية والخبرة العملية لمزاولة هذا العمل . وتقوم الجهة المختصة بتقديم دورات مكثفة لتدريب هؤلاء الهواة والمهتمين على استعمال الدليل . وبعد ذلك يذهبون إلى الميدان إذا كانوا متفرغين للعمل الميداني ، أو يقومون بعملية الجمع من المناطق التي يعيشون ويعملون بها ، ثم يرسلون مايحصلون عليه من مواد إلى الجهة المختصة التي تتولى فرز هذه المواد وتصنيفها وأرشفتها . وهذه الطريقة ناجحة لجمع المأثورات الشعبية بصورة منظمة هادفة وبشكل موضوعي شامل وعلى نطاق جغرافي واسع ، بالإضافة إلى أنها قليلة التكلفة وتوفر الكثير من الوقت والجهد . إلا أنها على الرغم من ذلك محدودة الفائدة حيث إنها عملية آلية بحتة تنقصها المرونة والتكيف مع الظروف الطارئة . فالأسئلة معدة ومرتبة سلفاً ، والجامع قد لا تكون لديه الكفاءة للتوسع والاستطراد في البحث والاستجواب فيما لو عثر على إخباري فذٍ وظاهرة تستحق دراسة وافية .

٣ر٢ ـ العمل الطلابي :

الكثير من الجامعات والمعاهد العليا في الدول المتقدمة التي يدرّس فيها الفلكلور كمادة أساسية تضم أرشيفات لجمع وتصنيف المأثورات الشعبية . وبالإضافة إلى جهود الباحثين والمختصين من ذوي الخبرات والكفاءات العلمية العالية فإن الطلاب يساهمون بقدر كبير ويشاركون مشاركة فعالة في تزويد هذه الأرشيفات بالمواد الشعبية بمختلف أجناسها . بل إن الكثير من الأرشيفات في المعاهد والجامعات يعتمد اعتماداً أساسياً على جهود الطلاب من حيث جمع مواد المأثور الشعبي ومن حيث تصنيفها وتبويبها ومن ثم إيداعها في مخازن الأرشيف[٢٩] .

مثال على ذلك ، حينما كنت طالباً في جامعة كاليفورنيا (فرع بيركلي) كان ألن دنديز Alan dundes ـ وهو أستاذي والمشرف على دراستي ـ عالماً فاضلاً ومدرساً ناجحاً لذا يقبل الطلاب على مادته ***مدخل إلى علم الفلكلور*** بأعداد كبيرة .

وقد أحسن استغلال هذا الإقبال من أجل تطوير وتعزيز الأرشيف الفلكلوري الذي أسسه منذ عدة سنوات . فكان يكلف كل طالب يسجل في مادته ، كمتطلب أساسي من متطلبات اجتياز المادة ، أن يسجل خمسين مادة من مواد المأثور الشعبي .

وإذا كانت واحدة من أرقى الجامعات في البلدان المتقدمة ترى أن تجنيد الطلاب لجمع المأثور الشعبي عمل شرعي ومفيد فإنه من الأولى أن يستفاد من هذه التجربة في الدول النامية التي تمر بمرحلة تطور جذرية سريعة تهدد بانقراض مأثوراتها وتقاليدها ، والتى تفتقر إلى المختصين والهيئات العلمية التي تعنى بجمع المأثور الشعبي ولم شتاته . ومنذ أن بدأت بتدريس مادة المأثور الشعبي بجامعة الملك سعود قمت بتطبيق هذه الفكرة . ففي بداية الفصل الدراسي أناقش مع الطلاب بعض التعريفات والمفاهيم العامة في علم الفلكلور ، ثم أستعرض معهم أهم النظريات والمناهج الفلكلورية ، وننتقل بعد ذلك إلى أجناس المأثور الشعبي ونتكلم عن كل منها على حدة . وهكذا يتسنى للطلاب أن يكوّنوا قاعدة أساسية وخلفية علمية توجهان بحوثهم الميدانية الوجهة النظرية السليمة . ثم نشرع بعد ذلك في الحديث عن أسس العمل الميداني وأساليبه . وفي الوقت نفسه أطلب من كل واحد من الطلاب أن يقدم لي تقريراً عن أحد كتب المأثور الشعبي يقوّم من خلاله جهد المؤلف وأسلوبه في جمع مادة الكتاب . كما أطلب من كل واحد منهم أن يقوم بجمع بعض المأثورات الشعبية ويقدمها لي كتابة لأستعرضها معه وأنبهه إلى أخطائه إن كان قد ارتكب أخطاء في الجمع والتوثيق والتدوين . كما أسمّع الطلاب بعض الأعمال الميدانية المسجلة موضحاً لهم مواطن الضعف فيها ومواطن القوة . والغرض من ذلك هو تدريبهم وتهيئتهم للقيام بالعمل الميداني الذي أكلفهم بالقيام به في نهاية الفصل الدراسي . ففي نهاية الفصل يكلف كل طالب بتسليم شريط كاسيت مسجل لا تقل مدته عن ساعة يتضمن مقابلة يجريها الطالب بنفسه مع أحد حملة المأثور الشعبي . وتحفظ هذه الأشرطة في الأرشيف الصوتي الذي نزمع إنشاءه في قسم الدراسات الاجتماعية بكلية الآداب .

وسوف أتوّسع قليلاً في الحديث عن هذا المشروع بحكم التجربة التي اكتسبتها من تبنيه والعمل فيه ولأنني أعتقد أنه مشروع جدير بالاهتمام من قبل أساتذة المأثور الشعبي في الجامعات العربية . فلابد لنا من تجنيد طلابنا وتسخير طاقاتهم وحماسهم لجمع مأثورنا الشعبي قبل أن يصبح أثراً بعد عين .

لـلاستفادة من المـادة المسجلة على الشـريط استفادة قصـوى لابد أن يكـون التسجيل جيداً والصوت واضحاً . لذلك فإنني ألح على الطلاب أن يستخدموا عند التسجيل بطاريات جديدة وشريطاً جديداً من النوع الجيد وأن تكون آلة التسجيل ذات كفاءة عالية وفي حالة جيدة . كما أطلب منهم أن يجربوا آلة التسجيل ويتعرفوا على كيفية تشغيلها قبل بدء التسجيل الفعلي . وعند نهاية التسجيل يكتب الطالب على الشريط وعلى الصندوق الذي يحفظ فيه الشريط اسمه واسم المادة (= مأثور شعبي) ورقمها ورمزها (= ٣٢١ جمع ، مثلاً) وتاريخ التسجيل ، ويعمل نسخة من الشريط يحتفظ بها لنفسه قبل تسليم الأصل .

وقبل أن يبدأ الطالب في التحدث إلى الإخباري الذي يسجل معه المقابلة عليه أن يورد المعلومات التوثيقية الأساسية أولاً وهي : مكان التسجيل ، تاريخه ، اسم الباحث (= الطالب) ، واسم الإخباري ، محل ميلاده ، موطنه الأصلي ، موطنه الحالي ، عمره ، قبيلته (إن وجد) ، عمله ، عنوانه ، تنقلاته وأسفاره ، درجة التعليم ، وأية معلومات أخرى يراها الباحث ضرورية . ولضمان النتيجة وضمان الحد الأدنى من نجاح المقابلة يطلب من الطالب أن يحدد الإخبـاري الذي يـريد مقابلته ، ونوع المادة التي يريد جمعها قبل أن يذهب إلى الميدان ليبدأ عملية التسجيل الفعلي . ولكن في الوقت نفسه ينبه الطالب إلى أنه ينبغي له ألا يصم أذنيه عما قد يعترض طريقه أثناء العمل الميداني من إخباريين أكفاء ومواد تستحق الجمع . وبعد استكمال البحث مع الإخباري في الموضوع الذي حدده الطالب ، له أن يخوض معه في أي موضوع آخر من مواضيع المأثور الشعبي التي يلم بها الإخباري ويجيد الحديث فيها . كما يجوز للطالب أن يتقابل مع أكثر من إخباري على ألا يزيد العدد عن ثلاثة إخباريين ، أي ما يعادل حوالي نصف ساعة أو عشرين دقيقة مع كل إخباري ، وهذا هو الحد الأدنى من الوقت الذي يسمح للبـاحث أن يتحاور مـع الإخبارى ويتعرف عليه وعلى ماعنده من مواد شعبية .

وينبه الطلاب من البداية إلى أن يبحثوا عن إخباريين أكفاء ومواضيع مناسبة للبحث لأن كفاءة الإخباري وأهمية المادة التي يدلي بها من أهم المسائل التي تدخل فى تقويم العمل الميداني الطلابي . كما يدخل في ذلك أيضاً جودة التسجيل واستيفاء المعلومات الأساسية ، وكذلك أسلوب تعامل الباحث مع الإخباري وطريقة طرح الأسئلة وصياغتها ، ومدى تقيد الباحث بأساليب العمل الميداني السليمة ، والتي

سنتكلم عنها بالتفصيل فيما بعد حينما نتحدث عن العمل الميداني المكثف .

ولاشك أن العمل الطلابي لا يرقى إلى المستوى الرفيع الذي يميز عمل الخبراء والمختصين ، وهناك سلبيات كثيرة قد تحد بعض الشيء من أهميته وإمكانية الاعتماد عليه ، لاسيما إذا وضعنا في الاعتبار الفترة الزمنية القصيرة التي يمضيها الأستاذ مع طلابه لتهيئتهم للعمل الميداني ، والضغوط التي يتعرض لها الطالب من جراء تراكم المواد الدراسية والامتحانات قد لا تمكنه من القيام بهذا العمل الميداني على الوجه المطلوب . كما أنه ليس بإمكان كل طالب أن يقدر أهمية العمل الميداني ويستوعب الأسس العلمية السليمة لتنفيذه ويجدّ في إنجازه .

ومن الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض الطلاب الطابع الرسمي الذي يضفونه على المقابلة . فبعضهم يعد الأسئلة مسبقاً ويلقيها على الإخباري باللغة العربية الفصحى وبطريقة آلية مما يفقد المقابلة حيويتها وعفويتها وحرارتها وتصبح كأنها استجواب . ومن الطلاب من يخطىء في فهم المقابلة فبدلاً من أن يبحث عن إخباري أمي من عامة الناس نجده يجري المقابلة مع أحد الجامعيين الهواة أو مع شخص متعلم ليس لديه حصيلة شعبية سوى أنه من أولئك الذين يحاولون تبرير المأثورات الشعبية وتفسيرها ، أو أولئك الذين يهمهم أن يقنعوا الآخرين بأن المأثورات الشعبية « قد اندثرت وزالت من بلدنا ولله الحمد وأصبحنا بلداً متقدماً » . ونتيجة مثل هذه المقابلات غالبا ما تكون ضئيلة وضحلة يغلب عليها طابع التحليل السطحي ، وتفتقر إلى الحصيلة الشعبية الإخبارية التي يمكن الاستفادة منها .

والكثيرون ممن لم يتمرسوا في العمل الميداني تزعجهم لحظات الصمت ويحسون بأن الإخباري لابد أن يستمر في الحديث بدون أي انقطاع أو توقف . لذلك نجد بعض الطلاب يسارعون بمجرد أن يتوقف الإخباري ليلتقط أنفاسه ، أو ليستجمع أفكاره ، إلى مقاطعته أو سؤاله عن شيء لا علاقة له بموضوع الحديث ، أو القفز من موضوع الحديث إلى موضوع آخر ، مما يربك الإخباري ويشوش أفكاره . ومن الطلاب من يحرج الإخباري بالإلحاح عليه أن يجيب عن أسئلة شخصية وخاصة . وبعض الأسئلة غير مركزة أو غير هادفة أو لا يراعى فيها المستوى الفكري والتعليمي للإخباري وقد يكون الإخباري غير مؤهل للإجابة عليها . وهناك نوع من الطلاب يحاول أن يثبت حضوره أمام الإخباري بطريقة خاطئة فيسأل عن أمور واضحة وتافهة بينما هناك أشياء مهمة في كلام الإخباري تفوته دون أن يستفسر عنها . وهناك نوع

آخر من الطلاب يتسم أسلوبه بالفظاظة وعدم اللباقة فلا يراعي شعور الإخباري ، ويتخذ موقف الواعظ والمرشد ، خصوصاً إذا كان الموضوع يتعلق بالخرافات والمعتقدات الشعبية ومسائل التحليل والتحريم . وقد تتحول المقابلة إلى مشادة كلامية بينه وبين الإخباري . وهناك فئة من الطلاب يجرون المقابلة مع الخدم والسواقين والناس البسطاء ، ويتعاملون معهم بشيء من الاستعلاء والغطرسة فتصبح الأسئلة كأنها أوامر ، والاستفسارات كأنها اعتراضات ؛ ولاشك أن مثل هذا السلوك يخدش كرامة الإخباري ويسيء إلى المقابلة . فمن بديهيات العمل الميداني أنه مهما كان الفارق الاجتماعي أو التعليمي أو المادي بين الباحث والإخباري فإنه لابد أن يكون بينهما قسط من المجاملة وقدر من الاحترام ، وهذا ما سوف نفصل القول فيه فيما بعد .

ولكن هناك من الطلاب من لديه القدرة على الانسجام مع الإخباريين واستدراجهم إلى الحديث عن طريق التشجيع وحسن الإصغاء فتبدأ المقابلة مع الإخباري وتنتهي بدون توقف ولا انقطاع وكأنهما جالسان يتجاذبان أطراف الحديث في مجلس أنس عامر . وبينما نجد بعض الطلاب لديه الموهبة في إدارة دفة الحديث مع الإخباري وتوجيه المقابلة وجهة صحيحة ، نجد بعضهم الآخر يكاد يكون حضوره معدوماً فلا نسمع صوته ولا نحس بوجوده أثناء التسجيل . وقد يخرج الإخباري عن الخط المرسوم للمقابلة فلا يحاول أن يرده إليه أو أن يفتح معه باباً جديداً من أبواب الحوار .

وهناك حالات نادرة يتقاعس فيها الطالب عن أداء العمل الميداني بنفسه ، ويوكل المهمة إلى أحد الأقرباء أو الأصدقاء لمقابلة الإخباري بدلاً منه ، أو يطلب من الإخباري إن كان وثيق الصلة به أن يسجل الشريط بدون حضوره ثم يبعث به إليه . ووجه الخطأ هنا أن الطالب يحرم نفسه من هذه التجربة القيمة التي تفيده في اكتساب الخبرة والمراس في مقابلة الإخباريين ، بالإضافة إلى أن الإخباري أو المندوب الذي يجري معه المقابلة ليس لديه خبرة في العمل الميداني وإجراء المقابلات وفقاً للأسس العلمية الصحيحة . ويجدر التنبه هنا إلى أن الغرض الأساسي من دفع الطلاب إلى إجراء المقابلات مع حملة المأثور الشعبي ليس مجرد الحصول على مواد شعبية لإيداعها في الأرشيف الصوتي الذي أشرنا إليه ، ولكن الغرض الأساسي هو تدريبهم تدريباً عملياً على الجمع الميداني وتشجيعهم على أن يصبحوا باحثين مهرة في مجال الدراسات

الشعبية ، وأملنا أن يحتفظوا بحماسهم وأن يستمروا في الجمع مدى الحياة .

وقد تعمدت في هذا العرض السريع التركيز على السلبيات التي واجهتها في العمل الطلابي ؛ ومن المؤكد أنني لا أهدف من وراء ذلك إلى التقليل من شأنه أو التشكيك في قيمته ولكنني أردت أن أنبه إلى بعض الممارسات الخاطئة لعلنا نتلافاها في المستقبل ونتمكن من الرقي بمستوى العمل الطلابي إلى أعلى الدرجات .

٣ - العمل الميداني المكثف

نستخلص من هذه العجالة أن جمع المأثورات الشعبية عن طريق العمل الطلابي أو الجهود الفردية أو دليل الجمع الميداني ، وإن كان يفي بالغرض المنشود منه ، يفتقر من وجهة النظر المنهجية والنظرية إلى العديد من المزايا التي يمكن أن تتوفر في العمل الميداني المكثف والمتعمق الذي يركز على قضية محددة ويدرسها من أوجهها المختلفة . هذا النوع من البحث الميداني المكثف لا يستطيع القيام به إلا عالم متخصص أو فريق من العلماء ، ويتم تنفيذه على خطوات مدروسة ومحددة وفقاً لمفاهيم خاصة ومناهج متفق عليها سنناقش بعضاً منها في الصفحات التالية .

١ر٣ - الإعداد للرحلة الميدانية :

يمر البحث بعدة أطوار ، أولها : عملية التهيؤ والاستعداد عن طريق القراءة والاستفسار . فمن يود القيام ببحث ميداني يفترض فيه أولاً أن يكون على اطلاع واسع بمناهج الفلكلور ونظرياته وأجناسه كي يكون قادراً على التعرف على المادة الشعبية وتقويمها والتعامل معها بشكل موضوعي مثمر . ثم يتعين على الباحث الميداني تحديد موضوع البحث ومكانه قبل الذهاب إلى الميدان . فإذا كان البحث مثلاً يهدف إلى جمع الحكايات الشعبية في منطقة معينة فإنه في تلك الحالة يجب عليه أن يكون متضلعاً في البحوث والدراسات العلمية المتخصصة في جمع وتصنيف وتحليل الحكايات الشعبية ، وأن يعمق معرفته وخبرته في هذا الفرع من فروع الدراسات الشعبية ، كما يلزمه قراءة كل ما تقع عليه يده من كتب عن مأثورات المنطقة التي يرغب زيارتها ، وأن يكون ملماً بجميع المصادر والمراجع التي تبحث في تاريخ المنطقة وجغرافيتها وطبيعة سكانها ؛ وإذا كان أحد قد أجرى بحثاً في المنطقة يستحسن الاتصال به إن أمكن ، والتداول معه وأخذ رأيه في مختلف الأمور والإجراءات التي تتعلق بميدان البحث وموضوعه وطبيعة المنطقة وأهلها وما إلى ذلك . وإذا كان أحد

من أهل المنطقة يسكن في المدينة نفسها التي يعيش فيها الباحث يحبذ الاتصال به والتشاور معه بخصوص السكن والمواصلات وحالة الطقس في المنطقة وأحوال المجتمع هناك ، كأسماء أعيان البلد والعائلات المرموقة وغير ذلك من المعلومات التي قد يستفيد منها الباحث بشكل أو بآخر . فكل هذه الاستعدادات الأولية من شأنها أن تساعد الباحث على التكيف والتعايش مع أهل المنطقة ، وتسهل مهمته في الميدان وتخفف من حدة الحيرة والارتباك التي قد يتعرض لها في المراحل الأولية من البحث ، وتجنبه التخبط ومضيعة الوقت في مسائل ليست في صميم البحث .

ومن المؤكد أن العمل الميداني المكثف يحتاج إلى ميزانية ضخمة للإنفاق عليه بما في ذلك نفقات السفر والإعاشة وشراء المعدات اللازمة ومكافأة الإخباريين والمرشدين والمصاريف النثرية وغير ذلك . ولكي يتم تنفيذ هذا العمل على الوجه المطلوب لابد أن تتولى الصرف عليه جهة رسمية أو مؤسسة علمية . ففي بعض الحالات مثلاً تتقدم جهة رسمية إلى أحد الأقسام الأكاديمية تطلب منها المساعدة في تقصي بعض الحقائق أو دراسة بعض الظواهر ، وتتكفل بدفع المصاريف اللازمة . مثال ذلك الطلب الذي تقدمت به وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية إلى قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود لدراسة ظاهرة غلاء المهور . ولكن في بعض الأحيان يكون لدى الباحث مشروع بحث ويريد جهة ممولة . ففي المملكة العربية السعودية مثلاً هناك عدة جهات تقوم بهذا العبء ، أهمها : المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا . كما أن معظم الجامعات السعودية لديها مراكز بحوث موزعة على الكليات ، مهمتها تمويل أبحاث أساتذة الجامعة والإشراف عليها . وحينما يكاتب الباحث جهة معينة يطلب منها تمويل بحثه عليه أن يقدم طلباً يحدد فيه موضوع البحث ويوضح أهميته بالإضافة إلى خطوات تنفيذ البحث وكيفية إنجازه والمدة اللازمة لذلك . ولابد أن يتضمن الطلب تقريراً مفصلاً بميزانية البحث ونفقاته بنداً بنداً[٣٠] . ومثل هذه الطلبات تفحص فحصاً دقيقاً من قبل لجان مختصة ، لذلك ينبغي لصاحب الطلب أن يعتني بإعداد صيغة الطلب وأن يكون دقيقاً ومقنعاً قدر الإمكان في عرضه لأهداف البحث وأهميته وأن يكون معقولاً في تصوراته وتقديراته خصوصاً فيما يتعلق بالميزانية والتكاليف .

وبعد إنهاء هذه الإجراءات الأولية ، أو قبل ذلك بقليل يقوم الباحث بالاتصال بالجهات الرسمية والمسؤولين ليشرح لهم مهمته ، ويطلعهم على خطة البحث ، ويطلب منهم إذناً رسمياً مكتوباً للعمل في المنطقة المحددة ، ويلتمس منهم العون

وتقديم التسهيلات اللازمة التي يمكنهم تقديمها في حدود صلاحياتهم - ولكن ينبغي الحذر من إقحام المسؤولين في موضوع البحث الميداني إذ قد ينتج عن ذلك تعثر البحث أو صده عن وجهته الأصلية وتحويله من مشروع علمي إلى واجهة إعلامية . وبعد إشعار الجهات المسؤولة وأخذ موافقتها يحاول الباحث الاتصال بأعيان البلد والأشخاص البارزين في المنطقة التي سيجري فيها بحثه لمحاولة إقناعهم بجدوى العمل الذي ينوي القيام به وأهميته بالنسبة للمنطقة خاصة والوطن عامة من أجل أن يكسب تأييدهم وتعاونهم ومساعدتهم في التعرف على أهل المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم وأماكن تجمعهم وطرق تألفهم وكسب ثقتهم والاندماج معهم . ومن باب اللياقة والكياسة على الباحث أن يظهر احترامه وتقديره للسلطات المحلية وذوي الجاه من أهل المنطقة وأن لايستفزهم أو يزعجهم بأي شكل من الأشكال .

٢ر٣ - الأيام الأولى في الميدان :

لاشك أن سلوك الباحث وصلاته الاجتماعية وعلاقاته الشخصية خلال الأيام الأولى من حلوله على المنطقة التي ينوي العمل بها لها أكبر الأثر على مسار بحثه وموقف الجمهور منه وتعاونهم معه . يقول محمد محمود الجوهري وزملاؤه في كتابهم *الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية* :

> **يجب ألا يفسد الجامع العمل من بدايته بأن يبدأ بالاتصال بمجموعة من الأفراد تكون منبوذة من المجتمع المحلي الذي يشرع في دراسته . على العكس ينبغي أن يضع في المحل الأول من اهتمامه تلك الجماعة التي يعتبرها المجتمع « أفضل الناس » ويتخذ من بينهم إخبارييه . . وسوف يكون من السهل بعد ذلك الاتجاه إلى أدنى في دراسة الفئات التي تكون السلم الاجتماعي ، على حين يستحيل اتخاذ الاتجاه المضاد . ومهما يكن من أمر فإنه من الخطورة على نجاح الدراسة أن يلتصق الجامع بفئة أو جماعة معينة بشكل زائد . لذا من الواجب عليه أن يوسع دائرة مخالطيه . والتعاون مع جماعات الموظفين المحليين وكسب مساعداتهم قد يكون مفيداً في هذا الصدد . وحدود هذا التعاون متروك للجامع نفسه[٣١]**

فالأشخاص الذين يستعين بهم الباحث ، والطريقة التي يلجأ إليها للدخول إلى المجتمع المحلي والتعرف على الرواة والإخباريين سيكون لها أكبر الأثر في مدى تعاون هؤلاء معه وثقتهم به ، لاسيما إذا كانت المادة التي يرغب في الحصول عليها منهم ذات حساسية اجتماعية أو سياسية أو قبلية . وإنه لمما يسهل عمل الباحث اقتناع الأشخاص المرموقين بمهمته وتبنيهم لها . وأحياناً قد تكون معرفة شخص واحد مفتاحاً يمكّن الباحث من التغلغل إلى فئات معينة وطبقات خاصة لايستطيع الباحث أن يصل إليها بأي طريق آخر . ولابأس من الإشارة بهذا الصدد إلى أن علاقتي مع مطلق بن عواد بن عيادة بن عبيكة الذي شرفت بالتعرف عليه مع بداية تنفيذ مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية مكنتني من اكتساب ثقة الشعراء والرواة من عشيرة الرمال خصوصاً وقبيلة شمر عموماً . وعائلة العبيكة من عائلات الرمال النبيلة اشتهرت بالجود والكرم وقول الشعر ، وتحظى بالتقدير والاحترام لدى جميع أفراد قبيلة شمر . ومطلق بن عواد يسكن حي النسيم بمدينة الرياض وقد نصب أمام منزله بيتاً كبيراً من الشعر تأكيداً على أنه لم يقطع صلته بالبداوة وعادات العرب الحميدة . وإذا ما قادت الزائر أو الضيف قدماه إلى هذا البيت في أي ساعة من ساعات الليل أو النهار فإنه سيجد النار تتلظى والقهوة جاهزة والطعام ومن يقوم على خدمته . وبعد صلاة العصر يتحول هذا البيت إلى منتدى يؤمه الناس ، وخصوصاً من قبيلة شمر ، على اختلاف مشاربهم ، بمن فيهم الأمراء والشعراء والرواة . وهذا البيت هو المكان الذي يلتقي فيه الزوار من أبناء قبيلة شمر الوافدون إلى الرياض من العراق والكويت ومنطقة حائل . وهناك تعرفت على عدد من الرواة المتميزين ، مثل : خفيج بن بدهان ، وحمود بن عمران ، ورضا بن طارف وغيرهم . وحينما ذهب مطلق في صيف عام ١٤٠٣ هـ لزيارة عشيرته في قراهم القريبة من حائل ، مثل قنا وأم القلبان وجبّة والقاعد ، ذهبت معه هناك ولم يدخر وسعاً في تعريفي على الكثير من الرواة والشعراء من قبيلة شمر . وحيث إنني كنت بصحبته فقد حظيت بمساعدة الجميع وتعاونهم وكرمهم المعهود .

ونجاح البحث الميداني يعتمد بدرجة كبيرة على المهارات والكفاءات الشخصية التي يتمتع بها الباحث ، كالقدرة على استمالة الآخرين وتألفهم والتعاشر معهم وإقناعهم بجدوى العمل الذي يقوم به . ومن ضروريات العمل الميداني أن يتحلى الباحث بالرزانة والصدق والنزاهة في التعامل مع الآخرين حتى يكتسب احترامهم

وثقتهم . وعليه أن يتجنب الخداع والمحاباة والتبجح وغيرها من الأخلاق الشائنة التي تنفر الناس منه . وعليه أن يراعي إحساس الناس الذين يعمل بينهم ، وأن يحترم مشاعرهم ويتجنب التصرفات التي تثير اشمئزازهم . ولابد أن يكون لدى الباحث معيناً لا ينضب من الصبر والحلم والأناة والقدرة على التحمل حتى لاينفر الناس حيث إن مهمته تحتم عليه أن يكسب ودهم وتعاطفهم .

ومن الضروري ألا يغيب عن ذهن الباحث أن مهمته الأساسية في الميدان هي التعرف على الرواة والإخباريين المتميزين في المنطقة ، وتسجيل ما لديهم من مأثورات شعبية . فحينما يعمه أعيان المنطقة بلطفهم وكرمهم وزياراتهم يجب ألا ينجرف معهم وينصرف عن الغرض الأساسي الذي جاء من أجله ، أو أن يغير من مجرى بحثه إلى مواضيع أخرى هو غير مؤهل لدراستها ، أو ليست ذات فائدة عملية ملموسة . وإذا كانت الفترة التي سيقضيها الباحث في الميدان وجيزة فإن الدعوات المتكررة قد تحول دون قيامه بالعمل الميداني على الوجه الأكمل . فحينما قمت بزيارة منطقة حائل في صيف عام ١٤٠٣ هـ لجمع الشعر النبطي وجدت أن الكرم التقليدي الذي يتميز به أهل المنطقة كان في كثير من المناسبات عائقاً دون إنجاز مهمتي كباحث حيث يستحيل استجواب الإخباريين وتسجيل ما لديهم من قصص وأشعار في مجلس صاخب يضم عشرات الضيوف . وحتى حينما أبدأ التسجيل تحت هذه الظروف فإنه بين الفينة والفينة يفد ضيوف جدد مما يحتم إطفاء جهاز التسجيل لنهب قائمين ونحيي القادمين . وهذا بالطبع لايعني عدم تشجيع الباحث على قبول الدعوات الشخصية والمشاركة في المناسبات الاجتماعية ، بل على العكس ، فهذه الدعوات والمناسبات من أنجح السبل للتعرف على أهالي المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم ، كما أنها تساعد على خلق جو من الألفة والوئام rapport بينهم وبين الباحث ، وإرساء دوره بينهم كباحث مهتم بجمع المأثورات الشعبية .

والعثور على الإخباريين ليس بالعمل اليسير ، وقد يستغرق الكثير من الوقت ، ويستنفد الكثير من الجهد ؛ وللوصول إلى الإخباري يتحتم على الباحث في أحيان كثيرة أن يمر بشبكة متداخلة ومتشعبة من الاتصالات الشخصية والرسمية ، ومن المواقف والعلاقات الاجتماعية وسلسلة طويلة من الأشخاص ، كل منهم يحيله إلى الآخر حتى يصل في النهاية إلى الشخص المطلوب . وكثيراً ما يسمع الباحث من الآخرين أن فلاناً من الناس راوية جيد وحينما يسعى لمقابلته ويرتب لقاء معه يجد أنه

ليس على المستوى المطلوب ، أو لا يجد عنده التعاون الكافي ، أو يجد أنه ليس إلا أحد هواة الجمع الذين يأخذون ولا يعطون ، هذا عدا عدم تقيد بعضهم بالمواعيد والالتزامات .

وعامة الشعب على الرغم من ولعهم بمأثورهم الشعبي وترديده إلا أنهم قد يخجلون من الاعتراف بذلك ، ويترددون في الإدلاء بمالديهم إذا طلب الباحث منهم ذلك . كما أن بعضهم قد يصعب عليه أن يتصور أن أي شخص متعلم يمكنه أن يقدر هذا المأثور ويأخذه مأخذ الجد ويجد فيه شيئاً نافعاً يستحق الجمع . وكثيرون منهم قد يشكون في نوايا الباحث ويتساءلون عن الدوافع الحقيقية التي حدته إلى تجشم كل هذه المصاعب لجمع قصائد وأخبار عفى عليها الزمن أو لجمع حكايات العجائز ومرددات الأطفال . لذا فإن على الباحث أن يتسلح بالصبر وأن لايتوانى في شرح مهمته وتوضيح هدفه من البحث لكل من يهمه الأمر من أجل أن يبدد ما قد يحاك حوله من إشاعات ويقضي على ريبة الناس وشكوكهم . كما يجب عليه أن يؤكد على أن غرضه علمي بحت لا دخل فيه للتجارة والربح المادي وأنه ليست له أي علاقة بمحطات الإذاعة والتلفزيون وأن ما يجمعه من معلومات سوف يحتفظ به كمادة علمية وكهدية للأجيال القادمة .

٣ر٣ - سبل جمع المادة الشعبية :

هناك نوعان من السياق الأدائي performance context أو السياق الاجتماعي Social context اللذين يمكن أن يتم فيهما أداء المادة التي يرغب الباحث في جمعها هما السياق الطبيعي natural context والسياق الاصطناعي أو المفتعل artificial context والمقصود بالسياق الطبيعي ذلك السياق الذي يتم فيه عادة أداء الظاهرة أو الحدث الذي يريد الباحث دراسته حيث يجتمع جمهور المؤدين والمشاهدين أو المستمعين ليؤدوا هذا النوع من النشاط الاجتماعي في المناسبة المعتادة بصورة عفوية تلقائية غير مفتعلة . ولاشك أن السياق الطبيعي هو الأنسب للجمع والدراسة ولكن أحياناً يتعذر على الباحث الحضور في الوقت المناسب لمشاهدة الظاهرة في سياقها الطبيعي ، وغالباً ما تكون الظاهرة قد انقرضت مما يضطر الباحث

لاختلاق سياق مصطنع بالتعاون مع من يجيدون أداء النشاط المطلوب ليتمكن من مشاهدة الأداء بنفسه بدلاً من الاعتماد على أقوال الناس .

وجمع المادة إما أن يتم عن طريق الملاحظة observation أو المشاركة parti-cipation أو المقابلة interview . وكل طريقة من هذه الطرق الثلاث لها سلبياتها وإيجابياتها ويستحسن الجمع بينها وتوظيفها جميعاً في خدمة البحث الميداني . فالمشاركة الفعلية تتيح الفرصة أمام الباحث ليشارك الجمهور مشاعرهم وأحاسيسهم ويراقب نشاطهم عن كثب ويتعرف على الدوافع التي تحدوهم إلى ممارسة هذا النشاط وتجذبهم إليه . وبذلك يكتسب البحث عمقاً نفسياً وبعداً اجتماعياً يستحيل تحقيقهما بالطرق الأخرى . ولكن المشاركة كثيراً ما تتطلب تركيزاً ذهنياً وجهداً جسدياً يصرفان الباحث عن مهمته العلمية فيصبح واحداً من المؤدين ويتخلى عن دوره كباحث ويفقد القدرة على تدوين الملاحظات وإدارة الأجهزة إذا كانت لديه أجهزة وما إلى ذلك . وقد يكون الأداء من الصعوبة بحيث يستحيل على الباحث المشاركة فيه (كالغناء والرقص) أو قد يرفض المؤدون إشراكه لكونه شخصاً غريباً . لذا فإن الباحث كثيراً ما يكتفي بالملاحظة دون المشاركة . أما المقابلة الشخصية مع من يجيد فناً من الفنون أو حرفة من الحرف الشعبية فإنها مهمة في سد الثغرات والحصول على المعلومات التي لايمكن الحصول عليها عن طريق المشاركة أو الملاحظة ، كتاريخ الظاهرة التي يدرسها الباحث ، وتطورها عبر الزمن ، وبعض المعلومات عن حياة المشاركين فيها وغير ذلك من المعلومات الضرورية .

والتركيز على أي من الطرق الثلاث السالفة الذكر (المشاركة ، الملاحظة ، المقابلة) يعتمد على طبيعة المادة وهدف الباحث . والبحث الفلكلوري بطبيعته يميل إلى المقابلة إذ أن الهدف في معظم الحالات هو جمع النصوص الشفهية من الأدب الشعبي أو الحصول على وصف شفهي لبعض مظاهر الحياة الشعبية المندثرة . وهناك نوعان من المقابلة : المقابلة الموجهة directed interview والمقابلة غير الموجهة non-directed interview ففي المقابلة غير الموجهة يقترح الباحث موضوعاً ويترك للإخباري الحرية الكاملة للتحدث عنه كيف يشاء بصورة تلقائية وبشكل مفصل . وهذه الطريقة مفيدة في المراحل الأولى من البحث لتوثيق المعرفة وتوطيد الوئام بين الباحث والإخباري لأنها تخلو من الأسئلة المحددة التي قد تسبب الحرج أو الإرباك .

وهذا الحوار المفتوح كثيراً ما يفيد في الكشف عن معلومات أو قضايا لم يتنبه إليها الباحث ولم يأخذها في الاعتبار . كما أن الإخباري إذا أتيحت له الفرصة ليتكلم على سجيته بدون قيود قد يبوح بمعلومات لا يقبل الإفصاح عنها فيما لو سئل عنها مباشرة . أما المقابلة الموجهة فإن الأسئلة فيها تحدد سلفاً ويطلب الباحث من الإخباري إجابات محددة لمواضيع معينة .

٤ر٣ ـ إجراء المقابلات وطريقة الإستجواب :

في المقابلة الأولى يشرح الباحث للإخباري بأسلوب واضح ولغة مبسطة هدفه من البحث والمواد التي يود الحصول عليها ، ويعرفه على ما معه من أجهزة وآلات وطريقة عملها إذا كان معه شيء من ذلك مثل آلة التسجيل أو آلة التصوير . كما يحاول الباحث أن يخلق جواً من الألفة والثقة بينه وبين الإخباري ويسأله أسئلة عامة لسبر غوره واستكشاف ما لديه من مأثور شعبي . وفي أثناء ذلك يقوم الباحث بتسجيل رؤوس أقلام في ذهنه أو على ورقة لما يختزنه الإخباري في ذاكرته من أخبار وأشعار وحكايات ونوادر وما إليها ، كأن يسجل مثلاً عناوين الحكايات أو مطلع القصائد أو أسماء الشعراء وما إلى ذلك من أجل الاستعانة بهذه المعلومات كوسيلة للاستذكار والاستجواب في الجلسات المقبلة حين تبدأ عملية التسجيل الفعلي .

وبعد الجلسة الأولى التي هي جلسة الاستكشاف والتعرف على ما لدى الإخباري من مأثورات شعبية تبدأ عملية التسجيل أو التدوين . ويفضل أن تكون المقابلات الأولى غير موجهة ، أي أن يبدأ الباحث بتوجيه أسئلة عامة للإخباري دون أن يقيده بموضوع محدد بل يتركه على سجيته . والغرض الأساسي من المقابلات الأولى مع الإخباري هو دراسة نفسيته والتغلغل إلى أعماق شخصيته ما أمكن والتعرف عن كثب على أسلوبه وطريقة إلقائه ومهارته في السرد . ومن باب تشجيع الإخباري والرفع من معنويته يطلب منه في البداية وصف مهارات يتقنها أو التحدث في مواضيع يعرفها جيداً حيث إن الباحث من خلال الجلسة الأولى يكون قد كوّن فكرة عامة عن حصيلة الإخباري من المأثورات الشعبية .

وبعض الإخباريين قد يكون لديه الاستعداد للشروع في سرد ما لديه من قصص وأشعار من الجلسة الأولى دون حاجة إلى مقدمات تمهيدية وجلسات استطلاعية ، لذلك يستحسن دائماً أن تكون آلة التسجيل جاهزة للاستعمال في أي وقت . وينبغي للباحث ألا يؤجل تسجيل ما لدى هؤلاء الإخباريين حتى جلسات قادمة لأنهم قد يفقدون الحماس أو الرغبة في التسجيل في الجلسات القادمة . وقد أثبتت لي التجربة أن الإخباريين لايرغبون وربما لايستطيعون رواية القصة نفسها للشخص نفسه مرة أخرى إلا بعد مضي فترة طويلة على الرواية الأولى لأنهم يستهجنون إعادة الكلام ولايستسيغون الترديد . ففي أكثر من مناسبة أطلب من أحد الإخباريين أن يعيد علي قصة سمعتها منه بالأمس أو منذ يومين فيرفض معتذراً بأنه سبق أن قصها علي ولايرى أي فائدة في إعادتها ، وفيما لو وافق فإنه يرويها بشكل مقطع ومختصر مما يخل ببنية القصة وحبكتها الفنية ويفقد الأداء الحرارة والحيوية التي لاحظتها في المرة الأولى .

وبعض الإخباريين قد يتلكأ في البداية ، ويتردد في الإدلاء بما لديه ظناً منه أن ما عنده ليس ذا أهمية وأنه لايستحق الذكر . كما ينبغي ملاحظة أن معظم الناس يختزنون في أذهانهم من المأثورات الشعبية أكثر مما يعتقدون لذلك فإن على الباحث أن يستخدم مهارته وخبرته عن طريق الأمثلة والأسئلة التي تساعد على نبش هذه المواد من الذاكرة وإبرازها إلى السطح . وعلى الباحث أن يضع في ذهنه عدة أسئلة ذات طابع عام ليستعملها عند الحاجة لحض الإخباري واستدراجه إلى الحديث حينما يفتر وتطول فترات صمته . ويستقي الباحث مواضيع هذه الأسئلة من جلساته الأولى مع الإخباري أو من قراءاته السابقة عن مأثور المنطقة . كما يستحسن أن يكون لدى الباحث نفسه حصيلة جيدة من المأثور الشعبي يستعملها عند الحاجة لاستدراج مخبريه واستدرار ما لديهم من مواد مخزونة . فسرد الحكايات والأشعار وما إلى ذلك قد يفيد كثيراً في تنشيط ذاكرة الإخباري وإعطائه فكرة عن المواد التي يرغب الباحث في جمعها . ولكن في تلك الحالة يجب على الباحث أن لايقوم بهذا الدور بشكل بارع حتى لا يبهر الإخباري ويجعله يفقد الثقة بنفسه . وكقاعدة عامة ، ينبغي على الباحث أن لايحاول تسليط الضوء على نفسه ويحتل مكاناً بارزاً في أثناء المقابلات التي يجريها مع الإخباريين حيث إن مهمته هي حفز الإخباريين ليؤدوا هم الدور الرئيس ، ويحتلوا المكان البارز ، ويجودوا بما لديهم من رصيد شعبي بطريقة عفوية تلقائية .

أي : على الباحث أن يقوم بدور الموجه الذي يدير دفة الحديث . وكثيراً ما يكون مجرد هز الرأس أو تركيز النظرات على الإخباري أو إعادة آخر كلمة تلفظ بها كافياً لتشجيعه على المضي في الحديث وإشعاره بأن الباحث متابع لما يقوله . ومن الوسائل الناجعة لتشجيع الإخباري على الحديث هو أن يتعمد الباحث الخطأ أو الجهل كأن ينسب قصيدة ما إلى غير قائلها أو أن يرويها بطريقة غير صحيحة أو أن يخلط بينها وبين قصيدة أخرى أو غير ذلك مما يحفز الإخباري إلى تصحيح معلومات الباحث ، ويحدوه إلى إيراد الرواية الصحيحة ، وهكذا يكتسب الثقة في نفسه ويشعر بأهمية ما لديه من معلومات وأخبار ويتشجع على المضي في الحديث والإفضاء بما يحفظه من مأثورات شعبية . ولكن حينما يلجأ الباحث إلى التظاهر بالجهل ينبغي عليه أن يستخدم هذه الطريقة بحكمة ووعي وتدبر حتى لايحسبه الإخباري إنساناً ساذجاً عديم المعرفة .

وليس من الحكمة أن يصر الباحث على الإخباري أن يجيب على أسئلة لايعرف الإجابة عليها أو يجره إلى الحديث عن مواضيع يجهلها أو لا يرغب الخوض فيها لأن ذلك قد يربك المقابلة أو يفضها أو قد يضطر الإخباري أمام إصرار الباحث للإدلاء بمعلومات خاطئة . وعلى الباحث أن يتجنب مضايقة الإخباري وإزعاجه بالإلحاح عليه أن يفشي أسراراً شخصية أو عائلية لايرغب البوح بها فمن حق أي شخص أن يحتفظ بأسراره لنفسه .

وحينما يبدأ الإخباري في الحديث يتركه الباحث على سجيته ويشجعه على الاستمرار ، ولا يقفز به قفزات سريعة من موضوع لآخر ، ولايكثر من مقاطعته إلا إذا شذ عن الموضوع فإنه يحاول أن يرده إليه بلباقة ولطف . وحينما يكون الإخباري منهمكاً في الكلام يقوم الباحث بتدوين أية أسئلة أو استفسارات تخطر على باله لطرحها على الإخباري بعد أن يتوقف عن الحديث ، وليس خلال الحديث ، حتى لايقطع عليه حبل أفكاره . بل إنه في بعض الحالات كما في سرد القصائد مثلاً لاتجوز المقاطعة لأن رواية القصيدة تعتمد على الحفظ ، لذا فهي تحتاج إلى التركيز وحشد الطاقة الذهنية وأي مقاطعة قد تربك الراوية وتشوش أفكاره . وقد قابلت بعض الرواة الذين لايستطيعون إملاء القصائد التي يحفظونها بتمهل لأنهم تعودوا على هذّها بسرعة . كما أن الواحد منهم لايستطيع المضي في سرد القصيدة إذا أوقفته في أثناء السرد لأسأله عن كلمة غريبة أو بيت غامض ، ولكنه بعد الإجابة على السؤال يضطر

إلى إعادة أبيات القصيدة من بدايتها مرة أخرى . ومثل هذه الملاحظات تفيدنا كثيراً في فهم عملية الأداء الشفهي ودور الحفظ والاستظهار في ذلك .

ومن المؤكد أنني لا أقصد مما قلته في الفقرة السابقة الحد من الأسئلة والاستفسارات ، بل على العكس فإنه يلزم السؤال في اللحظة المناسبة عن كل صغيرة وكبيرة وعن جميع ما يتضمنه حديث الإخباري من رموز وإشارات غامضة ومايستغلق فهمه وإدراكه من صور ومعان وألفاظ غريبة وأسماء شخصيات وأماكن غير معروفة . وهناك الكثير من أجناس الأدب الشعبي ، كالقصص ، والقصائد التي يستحيل فهمها وتذوقها بمجرد شرح مفرداتها أو توضيح عباراتها ، بل لابد من الإلمام التام بخلفيتها التاريخية والمحيط الحضاري والاجتماعي الذي نشأت فيه وجميع الظروف والملابسات المحيطة بها . وإذا وردت في المادة المجموعة أمثال فإنه يلزم إيضاح معانيها وشرحها وذكر المناسبات التي قيلت فيها والظروف التي يمكن استخدامها فيها . كذلك بالنسبة للأحاجي والألغاز ينبغي إيراد حلولها وإذا كانت العلاقة بين اللغز والحل غير واضحة فإنه يلزم توضيحها .

ومن الأشياء التي يجدر التنبه لها وأخذها في الاعتبار أن الكثير من القصص والقصائد التي يرويها الرواة نبعت من بيئتهم المحلية والمستمعون المحليون الذين اعتادوا على سماعها منهم يكونون غالباً على علم ودراية بشخصياتها وأحداثها وجميع تفاصيلها ، أي أن لديهم الخلفية والمعطيات الكافية لمتابعة الراوي واستيعاب كل مايقوله . أما الشخص الغريب الذي يسمع هذه القصص والقصائد لأول مرة فإنه قد يجد هناك فجوات في المعلومات وإشارات مقتضبة غامضة تحول دون فهمه لكل ما يقال ، أي أنه يحتاج إلى شروح وإيضاحات إضافية تساعده على الفهم . وبعض الرواة يدركون هذا الفرق بين المستمع المحلي والمستمع الغريب ويحاولون أن يكيفوا طريقتهم في السرد بمقتضى هذا الفرق فيتوسعون في إيراد التفصيلات والتعليقات إذا دعا الأمر . ولكن هناك من الرواة من لا يعي هذا الفرق ولايحسب له حساباً مما يحتم على الباحث أن يلح في السؤال ، ولكن بلطف ولباقة ، لاستيفاء الإيضاحات والإضافات الضرورية لفهم القصة أو القصيدة فهماً تاماً وسليماً .

وهناك تفاوت واضح في ملكات الإخباريين وقدراتهم ؛ فبعضهم ، وإن كانوا أميين ، بإمكانهم تحليل الأمور تحليلاً عميقاً ، والبحث في أصولها وجوهرها ومغازيها

البعيدة ، ويستطيعون التعبير عن مشاعرهم وآرائهم بطلاقة ووضوح . وبعضهم لديهم قدرة عجيبة على الحفظ والاستظهار وتنسيق المادة التي يحفظونها وعرضها بطريقة منظمة ، مثل خفيج بن عبدالله بن بدهان الرمالي الشمري الذي حصلت منه على ثلاثين ساعة من التسجيل ما بين قصص وقصائد حفظها كلها عن ظهر قلب . وهناك نوع من الإخباريين لا يرغبون في النقاش لأن الأسئلة تربكهم وتضايقهم . وعلى الباحث أن يراعي هذه الفروق وأن تكون أسئلته تتناسب مع قدرات الإخباري ولا تتعدى معرفته وكفاءته .

وحينما يتناقش الباحث مع الإخباري في موضوع معين ينبغي أن تكون أسئلته هادفة ومركزة تستكشف من خلالها الدوافع والمعطيات والخلفيات التي تسير الأحداث وتحرك الشخصيات التي يتحدث عنها الإخباري . وعلى الباحث ألا يقتنع بالإجابات السطحية المقتضبة بل يحاول قدر الإمكان ، مستخدماً مهارته في طرح الأسئلة وتوضيح قصده ، أن يتغلغل إلى صلب الموضوع ويثير القضايا الأساسية فيه . وهذه الطريقة في النقاش لها فوائد أخرى ، فهي تساعد الإخباري على تذكر أشياء أخرى قد تكون غابت عن ذهنه لأن القصص تتداخل والأحداث تتشابك والحديث يجر بعضه بعضاً ، إلا أنه في مثل هذه الحالة يجب أن تظل المقابلة محتفظة بقدر من التنظيم والتسلسل الموضوعي وترتيب الأوليات حتى لايتشتت الحديث وتتلاشى المعالم الرئيسة للموضوع .

وطريقة النقاش وصياغة الأسئلة تتطلب شيئاً من الحيطة والمهارة من جانب الباحث . فليس له أن يجيب عن أسئلته بنفسه أو أن يلقن الأخباري أو يلقي الجواب في ذهنه أو أن يطرح عليه آراءاً وفرضيات يختمها بعبارة « أليس كذلك » أو ماشابهها مما قد يحرج الإخباري ويضطره إلى الموافقة على أشياء لايعتقد بصحتها أو لايعرفها . ومن الخطأ صياغة السؤال بطريقة توحي بمضمون الجواب الذي يتوقعه الباحث أو تعطي الانطباع بأنه يحاول إثبات نقطة معينة . فلابد أن يترك الإخباري على سجيته ليجيب على أسئلة الباحث حسبما يعتقد وكيفما يريد . ومما يجدر التنبه إليه والحذر منه أن بعض الإخباريين قد يقولون ما ليس هو الصحيح والواقع فعلاً بل ما يعتقدون أنه الشيء الذي يرضي غرور الباحث ويتمشى مع رغبته . وحالما يلاحظ الباحث مثل ذلك الأسلوب عليه أن ينبه الإخباري بطريقة حازمة لا تقبل الشك أن هدفه هو البحث عن الحقيقة دون تحريف ولا تزييف وأنه لا يقبل المجاملات والمغالطات التي

قـد تضر بـالبحث . وقد وضّـح الجوهـري وزملاؤه طبيعـة المقابلة بـين الباحث والإخباري كما يلي :

> **وتقضي « المقابلة » بين الجامع والإخباري ـ في كل الأحوال ـ قدراً كبيراً من حسن الإدراك والتدبير . وبـراعة الجـامع في إجراء الحوار هي التي تفتح له مغاليق الراوي ، وتجعله يهب كل ما لديه عن طيب خاطر إن لم يكن باستمتاع . فـالمقابلة ليست مجـرد محادثـة ، ولكنها ـ فـوق ذلك ـ حـوار . ولابد للمقـابلة ـ كي تلقى نجاحـاً ـ أن تـوهب الحـرارة والتبـادل الشخصي اللذين يوهبان للحـوار . ونحذر ثـانية بـأن ذلك لايعني أن يفرط الجامع في التبسيط والود حتى لا يفلت زمام المقابلة من بين يديه . ولابد أن يبقى بعض من الطابع الرسمي وإلا صعب السيـطرة على الـراوي المجيب ، وفقد الجـامـع الثقة . على الجامع أن يحافظ على التوازن بين حـد التعامـل الإنساني الودود والتأكيد على أنه ليس أرفع من جمهور رواته ، وحد التعامل الواضح من أنه في النهاية لـديه عمـلٌ لابد أن ينجزه وبنجاح[٣٢] .**

وهناك بعض الإجراءات الفنيـة التي تتعلق بعملية تسجيـل المقابلة عـلى آلة التسجيل ، والتي ينبغي للباحث مراعاتها حتى يضمن جودة التسجيل ووضوحه . يستحسن أن يقلل الباحث من مقاطعة الإخباري في أثناء التسجيل ، وأن يقلل من التعليق على كلام الإخباري ولا يتحدث إلا عند الضرورة لأنه حينما يـأتي الوقت لتفريغ الشريط فإن الباحث قد يجد أن حديثه ومقاطعته تغطي على حديث الإخباري وتطمس بعض الكلمات والعبارات . وقد يكون الراوي ممن يتحمسـون في أثناء الحديث فيخبط بعصاه على الأرض أو بيده على المخدة ، وعلى الباحث أن ينبهـه بلطف إلى أن هذه الحركات تؤثر على جودة التسجيل . وبما أن مايسجل على شريط التسجيل شيء يسمع ولايرى فقد يكون من الضروري أن يتدخل الباحث في بعض الأحيان ليبين مايقوم به الإخباري من إشارات وإيماءات توضيحية لا تـظهر عـلى شريط التسجيل . مثلاً حينما يقول الإخباري بأن طول الـرمح من هنـا إلى هناك (مشيراً بيده إلى نقطة معينة) فإنه من المستحسن أن يضيـف الباحث قائلاً : أي

حوالي متر ونصف المتر . أو لنفرض أنه خلال عملية التسجيل كان يجلس مع الباحث والإخباري صبي عمره تسع سنوات وفي أثناء حديث الإخباري عن مغامراته في الصغر يقول بأنه حينما سافر إلى البلد الفلاني كان عمره يقارب عمر هذا الصبي الجالس هنا فيتدخل الباحث قائلاً : أي حوالي تسع سنوات .

٣ر٥ - المقابلة الجماعية :

من الأمور التي تجدر مراعاتها أنه كلما كـان المحيط الذي يتم فيـه جمع المـادة وتسجيلها قريباً من الواقع وبعيداً عن الافتعال والتصنع كلما كان أضمن لسلامة النتيجة وجودة المحصول . ومن الأشياء التي قد تساعد على حيوية الأداء وخلق جو طبيعي وجود عدد قليل من المستمعين . كما أن وجود إخباريين أو ثلاثة في أثنـاء المقابلة يتناوبون رواية الأحاديث وسرد الأشعار مما يساعد على إذكاء روح التنافس بينهم وبالتالي غزارة المحصول وتنوعه . ولكن يستحسن أن لايزيد عدد الحاضرين عن عدة أشخاص حتى لا تتحول المقابلة إلى جلسة صاخبة يصعب السيطرة عليها فيفلت زمام الأمر من يد الباحث .

ويلزم أن نتذكر أنه ليس من الضروري أن تتم عملية الجمع والتسجيل دائماً خلال مقابلات يرتبها الباحث مع الإخباريين ، بل إنه يفضل أحياناً ، بنـاء على الظروف وطبيعة المادة ، أن تتم عملية جمع المادة في سياقها الأدائي الطبيعي في أثناء المناسبات الاجتماعية التي يجتمع فيها الناس عادة من أجل مزاولة هذا اللون من ألوان النشاط الاجتماعي . وفي تلك الحالـة يلزم الباحث أن يحصـل من المؤدين والمشاركين على إذن مسبق بتسجيل ودراسة نشاطهم ، ولكن في الوقت نفسه ينبغي عليه أن يحاول إنجاز مهمته دون أن يشعر المؤدون والمشاركون أن هنالك من يراقبهم ويسجل مايقومون به من غناء أو رقص أو محاورات شعريـة أو ما إلى ذلـك حتى لايتدخل وجود الباحث وما قد يصاحبه من مساعدين وآلات تسجيل وتصوير في سير الأمور وعفوية الأداء .

والمقابلات الجمـاعية لا تخلو من السلبيـات التي ينبغي للباحث أن يتنبـه لها ويحاول تلافيها . فقد يصعب على الباحث أحياناً أن يوجه مجرى الحديث نحو الوجهة

التي يريدها ، وقد ينصرف الحاضرون إلى الخوض في أمور تخصهم ، مثل : أسعار الأراضي أو تكاليف العمار أو أنواع السيارات وأثمانها أو غير ذلك من المواضيع التي لاتهم الباحث . وليس من المضمون في هذه الجلسات الجماعية أن يتصدى للحديث أكفأ الحاضرين وأقدرهم على سرد الحكايات ورواية الأشعار بل قد يتصدر الجلسة شخص ثرثار مهرج ممن يحبون البروز فيستأثر بالجلسة ولا يفسح المجال أمام الرواة والإخباريين الذين جاء الباحث من أجل مقابلتهم .

ويراعى في المقابلات الجماعية أن يكون الحاضرون متجانسين في السن والجنس . فقد يخجل الأطفال من أداء مأثورهم أمام الكبار ، والنساء أمام الرجال . وهناك مواضيع يتورع الرجال عن الخوض فيها بحضور النساء أو الأطفال . ولسبب أو لآخر قد يكون هناك مواضيع لا يرغب الإخباري في الخوض فيها أمام جماعته ويحبذ أن يخبر بها الباحث لوحده ، خصوصاً تلك الأمور التي تتعلق بالسحر والمعتقدات الشعبية وعلاج الجان وغيرها من الممارسات التي تنافي العقيدة ولا تتمشى مع العرف الاجتماعي . وقد لايرغب أبناء قبيلة أو منطقة معينة الخوض في النزاعات والحروب التي جرت بينهم وبين جماعة أخرى إذا كان أحد من أفرادها حاضراً في المجلس . ومن الحكمة أن يتجنب الباحث مثل هذا الموقف لأنه ربما يثير حزازات قديمة فيحدث شجار بين الحاضرين يضطر الباحث إلى فض المقابلة .

أذكر مثلاً أنني في إحدى رحلاتي الميدانية دعيت إلى رحلة برية حضرها مجموعة من الرجال ، وبدأ أحدهم يقص لي كيف استولى جده على مشيخة القبيلة واستلبها من الشيخ القديم . ولكن لسوء الحظ وبدون علم مني كان أحد الجالسين ، وهو شاب طائش من أحفاد الشيخ الذي سلبت منه مشيخة القبيلة ولم يكن راضياً عن رواية القصة فغضب واحتد النقاش بينه وبين الشخص الذي يروي القصة واتهمه بالكذب . وانقسم الحاضرون على أنفسهم بينما حاول بعضهم تهدئة الموقف . وكاد الأمر أن يفلت من أيدينا فاضطررت إلى سحب الشريط من آلة التسجيل وإتلافه أمام الشاب الغاضب لأهدىء من ثورته . وحينما هدأ شرحت له طبيعة مهمتي وهدفي من البحث عن هذه القصص وتسجيلها وقلت له بأن الدافع وراء عملي هو تسجيل هذه القصص وما يصاحبها من أشعار كوثائق تفيد المختصين في البحث الاجتماعي والتاريخي (يبدو أنه كان يعتقد أنني مبعوث من قبل الجهات المسؤولة لتحري الحقائق والبحث عن الشيخ الفعلي للقبيلة لمنحه إعانات وقروض حكومية

وصلاحيات إدارية وماشابه ذلك) ووضحت له أنه كان بإمكانه أن يتحلى بالصبر والأناة حتى ينتهي الراوي من سرد قصته ثم يأتي دوره هو فيتفضل ويدلي برأيه مدعماً بالأدلة والشواهد الشعرية كما لو كان أمام القاضي في المحكمة ويروي لنا الأحداث من وجهة نظره بشكل هادىء وبناء .

وهناك اعتبارات سياسية واجتماعية كثيرة قد تمنع الراوية من سرد بعض القصص والقصائد اعتقاداً منه أنه سوف يساء استخدامها وتستغل في إيقاظ الضغائن وإحياء العصبيات القديمة . وقد مرت بي عدة مواقف في أثناء العمل الميدانى حينما أحل ضيفاً على شيخ أحد العشائر ويبدأ الراوية بسرد القصص والأشعار وحينما يبدأ بقصيدة أو قصة تدور حول حدث معين لا يود الشيخ أن يثار في مجلسه فإنه يأمر الشاعر بصريح العبارة أن يترك هذا الموضوع ويتكلم في موضوع آخر . ومن واقع تجربتي مع الرواة وجدت أن بعضهم يتحاشى ذكر القصائد التي قيلت في مدح آل الرشيد في حائل أو الأشراف في مكة أو تلك التي تتحدث عن النزاعات القبلية التى كانت تسود الجزيرة العربية حتى عهد قريب ، علماً بأن مثل هذه القصص والقصائد لا تقدر بثمن من حيث قيمتها التاريخية والاجتماعية .

وللحصول على مثل هذه القصائد أؤكد للرواة بأنها لن تنشر في وسائل الإعلام ولن تظهر لعامة الناس وأن الهدف من جمعها هدف علمي بحت وأنها سوف تحفظ في أرشيف الجامعة ولن يطلع عليها إلا عدد محدود من المختصين الذين هم أهل للثقة والذين لن يفكروا في استخدام هذه المعلومات لإلحاق الضرر بالإخباري بأي شكل من الأشكال . وأذكر الاخباريين بأن علماء العرب الأوائل ، وهم قدوتنا ومثلنا الأعلى ، لم يجدوا غضاضة في جمع الشعر الجاهلي وحفظه على ما فيه من مشاحنات قبلية ومخالفة لتعاليم الدين الحنيف فكانوا مثالاً مشرفاً في الدقة والنزاهة والأمانة العلمية ، وخلفوا لنا ثروة أدبية تتجدد قيمتها أبداً ونعتز بها على مدى العصور . وحري بنا أن نحذوا حذوهم ونقتفي أثرهم لجمع ما لدينا من الشعر النبطي قبل أن يفوت الأوان ونأسف على ضياع الفرصة . ثم إننا أصبحنا ولله الحمد نتمتع في ظل حكومتنا الرشيدة برخاء اقتصادي واستقرار سياسي لانريد عنهما بديلاً . فمن ذا الذي يود النكوص إلى العصور الغابرة ـ عصور الفقر والجهل والخوف والحرمان !

فالغرض من جمع الشعر النبطي ليس بعث الفوضى السياسية والاجتماعية بل خدمة العلم والمجتمع . وكثيراً مايفيد هذا الأسلوب في إقناع الإخباريين والرواة الذين يترددون في البداية ويدفعهم إلى الإدلاء بما لديهم من أخبار وأشعار .

٦ر٣ - علاقة الباحث مع حملة المأثور الشعبي :

علاقة الباحث مع حملة المأثور الشعبي تحكمها اعتبارات خلقية وإنسانية يلزم التمسك بها . فالباحث ينبغي أن تربطه مع الإخباريين والرواة علاقة تقدير واحترام وصداقة متبادلة ، وبالأخص أولئك الذين يتعامل معهم بصورة مكثفة ولفترات طويلة . ومن الخطأ أن ينظر الباحث إلى الإخباري ، مهما كانت منزلته الاجتماعية أو تحصيله الثقافي ، على أنه شخص أمي جاهل مسكين فيترفع عنه ويزدريه وينتقد سلوكه وتصرفاته ويحاول أن يغير طريقته في الحياة أو يعدل مفاهيمه ومعتقداته . بل إن على الباحث أن يلتزم الحياد التام حيال هذه القضايا التي يستحسن تركها وعدم إثارتها . كذلك على الباحث أن يبتعد عن التصنع والتزلف والشعور الزائف تجاه الإخباريين وما يحملونه من مأثور .

هذا ولا يحق للباحث أن يسجل أو يدون ما يفضي به الإخباري من معلومات إلا بعد أخذ إذن صريح منه بذلك . وإذا ما وثق الإخباري بالباحث وباح له بأسرار ومعلومات خاصة تتعلق بحياته الشخصية والعائلية أو غير ذلك من القضايا السرية فإنه يتحتم على الباحث أن لايفشي هذه الأسرار أو ينشرها بأي شكل من الأشكال .

أما من حيث مكافأة الإخباريين فإن هذه مسألة شائكة ومعقدة إلى حد ما ، إلا أنه من الأفضل استبعاد المكافآت النقدية قدر الإمكان وتقديم الاعتبارات المعنوية على الاعتبارات المادية[٣٣] . فمثلاً لو كان الإخباري مسناً أو عاجزاً يستحسن أن يقوم الباحث بقضاء حوائجه ومساعدته في الأمور التي يحتاج فيها إلى مساعدة كتخليص معاملاته من الجهات الرسمية والدوائر الحكومية أو مرافقته إلى المستشفى فيما لو احتاج إلى مراجعة الطبيب . وأحياناً مجرد زيارة ودية قد يكون لها وقع طيب في نفس الإخباري لاسيما إذا كان مسناً أو عاجزاً لايقدر على الخروج من منزله والترفيه عن نفسه . ولا بأس من تقديم بعض الهدايا الرمزية المعبرة في المناسبات الخاصة بقصد توطيد أواصر العلاقة بين الباحث والإخباري . غير أن هنالك حالات معينة

يتحتم فيها على الباحث أن يقدم مكافأة نقدية للإخباري وذلك حينما تكون الخدمة التي يقدمها هي مصدر رزقه كأن يكون مغنياً محترفاً أو فناناً تقليدياً أو ما شابه ذلك . وفي تلك الحالة يجب على الباحث أن يأخذ بمبدأ العدل والاعتدال فلا يبخس الإخباري حقه ولكن في الوقت نفسه لا يدفع له مبالغ باهظة مقابل خدماته . ولايجوز للباحث بأي حال من الأحوال مخادعة أو استغلال من يعمل معهم من حملة المأثور الشعبي كأن يتخذ براءتهم وطيبة قلوبهم وسيلة لابتزازهم وأخذ ما لديهم من تحف تقليدية ومصنوعات محلية بدون مقابل . كما لا يجوز نشر أو إذاعة ما أخذه منهم من معلومات بدون استئذانهم ثم الاعتراف بدورهم وشكرهم علناً .

ومسألة الوقت من المسائل المهمة التي يجب على الباحث مراعاتها . فلابد أن يتقيد بدقة المواعيد وأن يحدد لقاءاته مع الإخباري في الوقت الذي يكون مناسباً لكليهما . ولايحق للباحث أن يرهق الإخباري ويحمله ما لا يطيق ، بل عليه أن يعامله بأدب ولطف وأن لا يمطر عليه وابلاً من الأسئلة ويطلب منه الإجابة عليها جميعاً في جلسة واحدة . فالعمل الذي يقوم به الإخباري عمل ذهني شاق يتطلب الكثير من الجهد والطاقة . ولا يستحسن أن يطول اللقاء أكثر من ثلاث ساعات في اليوم إلا إذا أبدى الإخباري استعداداً وتحملاً فلا بأس من مواصلة الحديث .

٧ر٣ - الأداء والمؤدون :

اعتاد علماء المأثور الشعبي في السابق على جمع النصوص العارية من الشروح المجردة من الإيضاحات إلا أنه تبين لهم فيما بعد أن ذلك لايفي بالغرض المنشود ، إذ أنه لابد من أن تشفع هذه النصوص بالتفسيرات والتعليقات والمعلومات الوافية عن المؤدين وسياق الأداء والعلاقة التي تربط المؤدي بالمستمعين/المشاهدين . فهذه الظروف والملابسات مشحونة بالمعطيات الفكرية والعاطفية والاجتماعية التي تضفي على النص ألواناً وأبعاداً يستحيل فهمه وتقويمه بدونها . فالهدف من العمل الميداني هو دراسة الأدب الشعبي عن كثب في محيطه الطبيعي للتعرف على الخصائص الفنية التي تميزه عن الأدب المكتوب من حيث الشكل والمضمون . ومن حيث عملية الإبداع والنظم والأداء والانتشار والتداول والحفظ والارتجال ودور الذاكرة ، بالإضافة إلى وظيفة الأدب الشعبي في المجتمع وعلاقة المؤدين بجمهور المستمعين

وغير ذلك من المسائل العلمية الدقيقة التي تشغل بال العلماء في وقتنا الحاضر(٣٤) .
كما يهدف البحث الميداني إلى إيجاد تصور كامل للمحيط الحضاري والإطار الاجتماعي الذي يستمد منه الأدب الشفهي صوره وأخيلته وأغراضه ، ويهدف البحث الميداني أيضاً إلى جمع المعلومات الضرورية عن حياة المؤدين والإخباريين المتميزين ودراسة ظروفهم المعيشية لتحديد مصادر إلهامهم والتعرف على مكانتهم الاجتماعية . فعملية البحث الميداني ليست عملية جمع عشوائية ، بل إنها عملية منظمة هادفة يقصد منها استشفاف ظواهر الأدب الشفهي وغيره من مظاهر الفن الشعبي لاستجلاء معالمها واستنباط معايير نقدية تتلاءم مع طبيعتها الفنية ووظيفتها الاجتماعية .

ويقسم عالم الفلكلور السويدي كارل فلهلم فان سيدو Carl Wilhelm van Sydow حملة المأثور الشعبي إلى حملة نشطين active bearers وحملة غير نشطين passive bearers(٣٥) . والحملة النشطون هم الأفراد الموهوبون الذين لديهم القدرة على الأداء ونقل المأثور وإفشائه بين الناس ، بينما الحملة غير النشطين يفتقدون هذه الميزات . ومن الطبيعي أن يركز الباحث على الحملة النشطين إلا أنه ينبغي أن لايغفل الحملة غير النشطين . فقد يكون لديهم من المعلومات والآراء النقدية عن المؤدين ومهاراتهم وعن أصول المأثورات الشعبية وطبيعتها وأسرارها الجمالية ما يستحق الجمع والتسجيل . ومن البديهي أن آراء الحملة النشطين في هذه الأمور جديرة باهتمام الباحث أيضاً .

ومن المسائل التي لابد أن يأخذها الباحث بعين الاعتبار ويفحصها بدقة عمليات الإنشاء والإنشاد الشفهي the oral process . فالأدب الشفهي يختلف عن الأدب المكتوب في أنه ينتقل لا عن طريق الكلمة المكتوبة بل عن طريقة الكلمة المنطوقة ، أي مشافهة . لذا فالنصوص الشفهية تختلف عن النصوص التحريرية في أنها مرنة وغير ثابتة . فهي عرضة لتغير دائم وتشكل مستمر مما يؤدي إلى ظهور روايات متعددة للنص الواحد . فمهمة الباحث هي أن يدرس كيف يتم هذا التغيير وما هي العوامل التي تؤثر فيه . لذا فإن عليه ألا يكتفي بتسجيل رواية واحدة لهذه الحكاية أو تلك القصيدة ، بل عليه أن يجمع كل ما يعثر عليه من روايات وأن يجمع الحكاية نفسها من عدة أشخاص ، بل حتى من الشخص نفسه على فترات متفاوتة حتى يتسنى له رصد التغيرات التي يتعرض لها النص والعوامل التي تؤدي إلى ذلك .

ومن الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض الباحثين ممن تعوزهم الخبرة رفض تسجيل نص حكاية أو قصيدة تعرض عليهم إذا كانوا قد سجلوها من قبل . يقول أحمد علي مرسي في ذلك :

إن دارسي الأدب الشعبي يدركون تماماً أهمية جمع النصوص المختلفة وتحليلها ، ولكن بعض الدارسين لايدركون هذه الحقيقة خاصة الذين تأثروا بدراسة الأدب الخاص أو المدون ، إذ أنهم يكتفون في العادة بتسجيل رواية واحدة للنص الشعبي ، ويحدث في بعض الأحيان أن يبدأ أحد الرواة في رواية نص حصل عليه الدارس أو جمعه من راو آخر وعندئذ قد يخطىء الدارس التوفيق عندما يرفض تسجيل هذا النص أو غيره مما سجله من قبل ، ذلك أن ثراء الدراسة وما يمكن أن تسفر عنه من نتائج إنما يعتمد بالدرجة الأولى على المجموعات الكبيرة من النصوص المتنوعة والمتشابهة ، كما أنه من الخطأ أن نعد إحدى روايات النص الشعبي هي الرواية الصحيحة دون غيرها ، ومن ثم نعتمد عليها كأساس للتحليل وكأنها نسخة موثوق بها أو نموذج لنمط لايتغير من الأدب الخاص . وخلاصة القول أن نصوص الأدب الشعبي بأنواعه المختلفة حية مرنة ، تتقبل الإضافة والحذف والتعديل دائماً ، بينما تعيش الأنواع الأدبية الخاصة على حالتها التي أبدعها مؤلفوها دونما أدنى تعديل ، وإلا فقدت صلتها بمؤلفيها وأصبحت شيئاً آخر[٣٦] .

وبالإضافة إلى تلك الأمور المنهجية والنظرية هنالك مسائل توثيقية يجب أن لايفوت الباحث ملاحظتها وتسجيلها مثل : مكان الجمع وتاريخه وكذلك اسم الإخباري أو المؤدي وجنسه وعمره وعنوانه وعمله ، أين ولد ؟ أين قضى معظم حياته ؟ متى وأين وممن اكتسب المادة التي تم جمعها منه ؟ وغير ذلك من المعلومات الأخرى التي يمكن الحصول عليها عن حياته وظروفه الاجتماعية . فهذه المعلومات عن حياة الإخباري وأسفاره وتنقلاته وصلاته بالآخرين تفيدنا كثيراً في التعرف على مصادر مواد المأثور الشعبي وسبل هجرتها ووسائل انتشارها .

ومن الأشياء الأخرى التي يجدر ملاحظتها وتسجيلها مكان الأداء (في المنزل ، في الحقل ، داخل القرية ، خارجها) وقت الأداء (صباحاً ، مساء) ، المناسبات التي يتم فيها الأداء (الأعياد ، الزواج ، الختان ، المآتم) ، ما إذا كان الأداء يتم في موسم معين من السنة (حرث الأرض ، حصاد الزرع ، صرام النخيل) ، ما إذا كان الأداء مصحوباً بآلات موسيقية (طبول ، ربابة ، سمسمية) أو غيرها من المعدات والأدوات مع وصف كامل ودقيق لها ، ما إذا كان الأداء مصحوباً برقص أو حركات أخرى ، ما إذا كان الأداء مقصوراً على فئة خاصة في المجتمع أو أصحاب مهنة معينة ، ما إذا كان المؤدون محترفين يكسبون عيشهم من هذا العمل أم أنهم مجرد هواة وأشخاص موهوبين . كذلك تجدر ملاحظة أجناس المؤدين والمشاهدين وأعمارهم . هل هم ذكور أم إناث ؟ هل هم صغار أم كبار ؟ أم أنهم خليط من مختلف الأجناس والأعمار ؟ كم عدد المؤدين ؟ هل الأداء فردي أم جماعي ؟ ماهو دور الجمهور ؟ هل يسمح لهم بالمشاركة أم يفترض فيهم السكوت والإصغاء فقط ؟ هل يسمح بالنقاش أو السؤال أو الاعتراض في أثناء الأداء أو بعده ؟ ما هو الاسم المحلي لهذا اللون من ألوان المأثور الشعبي ؟ ما هي وظيفته الاجتماعية ؟ ماهو شعور المؤدين والمستمعين تجاهه ؟ فإذا كانت حكاية مثلاً هل يعتقدون أن أحداثها واقعية وأشخاصها حقيقيون أم أنها مجرد قصة خيالية ؟ هل المؤدي يسرد نصاً حفظه عن ظهر قلب أم أن له الحرية في أن يحوّر ويغير حسبما يريد ؟ ما هي العوامل التي تتحكم في ذلك ؟ ما هي آراء المؤدين والجمهور فيما يتعلق بوظيفة هذا اللون من ألوان المأثور الشعبي وخصائصه الفنية ؟ ما هي الأسباب والدوافع التي تحفزهم للاستمرار في ممارسته والإبقاء عليه ؟ .

٨ر٣ - تدوين المأثورات الشعبية :

يتضح لنا مما تقدم أنه بالإضافة إلى النصوص والمعلومات التي يسجلها الباحث من أفواه الإخباريين مباشرة هنالك أيضاً ملاحظات وتعليقات يكتبها الباحث بنفسه وبأسلوبه عن الأداء والمؤدين والسياق الأدائي والإطار الاجتماعي الذي يتم فيه تسجيل هذه النصوص . وإذا تعذر تدوين هذه الملاحظات والتعليقات في أثناء عملية الأداء أو خلال اللقاء فإنه يلزم تدوينها بعد ذلك مباشرة حيث لاتزال

الانطباعات والصورة الكاملة بتفاصيلها الدقيقة عالقة في ذهن الباحث . وحينما يأتي وقت كتابة التقرير العلمي أو البحث فإنه يتعين على الباحث أن لايخلط بين آرائه واستنتاجاته الشخصية وبين أقوال الإخباريين . وعندما يفسر الباحث مظهراً من مظاهر الحياة الشعبية أو يعلق على نص من نصوص الأدب الشعبي ينبغي عدم استعمال العبارات التي لاتعني شيئاً أو التي يفترض في القارىء أن يكون ملماً بما يتحدث عنه الباحث مثل عبارة « كما جرت العادة » أو « كما هو معروف » .

ولقد اعتاد بعض جامعي المأثورات الشعبية ممن تنقصهم الخبرة العلمية في هذا المجال التحويرَ والتعديلَ في نصوص الأدب الشعبي حين نشرها وذلك بإعادة نسجها وتنقيحها وتهذيبها وحذف ما قد تحتويه من فحش وألفاظ نابية وتبديل لغتها من عامية إلى فصحى ، وغير ذلك من التغييرات التي تحولها من أدب شفهي شعبي إلى أدب تحريري ، وبذلك تفقد هذه النصوص قيمتها كمادة علمية يمكن الاستفادة منها في الدراسة والبحث . فمن الأمور الأساسية التي تجب مراعاتها دائماً عدم التصرف بنصوص الأدب الشفهي إلا في حالات الضرورة القصوى وفي حدود الأمانة العلمية .

٣ر٩ - إستخدام الأجهزة في الميدان :

تنقسم المأثورات الشفهية إلى ثابتة العبارة ومتغيرة العبارة . فثابتة العبارة هي التي تحتفظ بنصها اللغوي من رواية لأخرى دون تغيير كالأمثال والأحاجي والأشعار . أما متغيرة العبارة فصيغتها اللغوية غير ثابتة وإن كان مضمونها ثابتاً مثل الحكايات والنوادر . وقبل ظهور آلات التسجيل الصوتي كانت الكتابة هي الوسيلة الوحيدة لنقل نصوص المأثور الشفهي من أفواه الرواة . وكان العلماء في ذلك الوقت يصرون على تدوين النصوص ثابتة العبارة طبقاً للأصل الذي وردت به وكما تلفظ بها الرواة تماماً ، أي أن الراوي يملي على الباحث نص القصيدة مثلاً . أما النصوص متغيرة العبارة فإنهم ، تحاشياً لمقاطعة الراوي وإرغامه على التريث المخل بسياق الأداء وعفويته ، كانوا لايجدون غضاضة في الاستماع إليها أولاً ثم تدوينها في أقرب فرصة بعد ذلك وفي أقرب صورة ممكنة للصيغة التي جاء بها الراوي .

وبعد أن ظهرت آلات التسجيل الصوتي استغلها علماء الفلكلور في البحث الميداني لتسجيل المقابلات التي يجرونها مع الرواة والإخباريين وغير ذلك من النشاطات الفلكلورية التي يجمعونها في الميدان . وهكذا أصبح من السهل تسجيل النصوص الشفهية الثابتة منها والمتغيرة كما تلفظ بها الرواة ، كما أصبح بالإمكان تسجيل النبرات والنغمات الصوتية المعبرة التي لايمكن إبرازها كتابة . كذلك التكرار والتردد والتذكر والتوقف وغير ذلك من الخصائص الأدائية التي تميز الأدب الشفهي الذي يعتمد على الحفظ . والاحتفاظ بهذه الخصائص على شريط التسجيل يمكننا من دراسة عملية الأداء في الأدب الشفهي ، لذا لايجوز للباحث أن يحاول حذفها أو التقليل منها في أثناء التسجيل أو بعده . واستخدام آلة التسجيل يعفي الباحث من تدوين النصوص خطياً ليتفرغ للتحاور مع الإخباري وتدوين ما يعن له من ملاحظات وتعليقات .

وبالإضافة إلى آلة التسجيل يعتبر ظهور أجهزة التصوير الفوتوغرافي والسينمائي فتحاً جديداً في عالم البحث الميداني . فبواسطة آلة التصوير يمكن التقاط تعابير الوجه وحركات الجسم واليدين التي تصاحب الكلام والرقص الذي يصاحب الغناء وغير ذلك من الإيماءات والإشارات التي تكون جزءاً أساسياً من الأداء والتي يستحيل إبرازها بواسطة آلة التسجيل أو الكتابة . وبواسطة آلة التسجيل وآلة التصوير معاً يمكن التقاط وتسجيل العلاقة الديناميكية بين المؤدين والمستمعين وسياق الأداء بكل ملابساته وتفاصيله الدقيقة ، وهذا مما يثري ويعمق دراسة المأثور الشعبي ويضفي عليها أبعاداً جديدة . ولاينطبق ذلك على الغناء والأدب الشعبي فحسب بل يشمل أيضاً الحرف والمهن التقليدية والألعاب الشعبية .

وبالإضافة إلى هذه المنافع الجمة فلقد أثبتت التجربة أن سماع المؤدي صوته على آلة التسجيل أو مشاهدته لصورته على آلة العرض السينمائي مما يشجعه على الإدلاء بالمزيد مما لديه من المأثور الشعبي ويحفزه على بذل جهد أكبر في المستقبل .

ويراعى في اختيار هذه الأجهزة أن تكون سهلة الحمل والاستعمال من الممكن تشغيلها على التيار الكهربائي والبطاريات الجافة . ولضمان النتيجة يلزم الباحث التدرب على استعمال هذه الأجهزة قبل الذهاب إلى الميدان والتأكد من اصطحاب كميات كافية من البطاريات والأفلام والأشرطة . ومن المستحسن استخدام

مسجلات الكاسيت لسهولة حملها وتشغيلها ، على أن تستبعد الأنواع الرخيصة جداً أو الصغيرة جداً لعدم جودة أدائها .

وقد تكون العدة التي يصطحبها الباحث معه إلى الميدان متواضعة لكنها تؤدي الغرض المطلوب منها على الوجه الأكمل . فعلى سبيل المثال ، جميع الأجهزة التي أستخدمها في مشروع جمع الشعر النبطي تستوعبها حقيبة سامسونايت صغيرة أحملها بيدي . وتحتوي هذه الحقيبة على كاميرا نوع Ricoh AF-2 وهي سهلة الحمل والاستعمال وتلتقط صوراً جيدة وقيمتها ثمانون دولاراً أمريكياً ، ومسجل كاسيت ستيريو نوع Sanyo M7500F وهو خفيف الحمل أنيق الشكل جيد الأداء ، ويتم ضبط الصوت فيه تلقائياً في أثناء التسجيل وقيمته مائتان وعشرون ريالاً سعودياً ، وعلبة بطاريات تتسع لأربع وعشرين بطارية حجم C نوع Duracell وعلبة أشرطة كاسيت تتسع لعشرة أشرطة من نوع Maxell C-90 Low Noise ومدة الشريط ساعة ونصف . كما تتسع الحقيبة بالإضافة إلى ذلك لكراستين واحدة بها خمسون ورقة حجم ٨,٥×١٤ بوصة لتدوين الملاحظات الميدانية ، والأخرى بها سبعون ورقة حجم ٥×٧ بوصة استخدمها لكتابة الإيصالات ، ويتضمن الإيصال مكان التسجيل وتاريخه واسم الإخباري وعدد الأشرطة التي سجلتها منه والمدة الزمنية والمكافأة التي تقاضاها مقابل ذلك مع توقيعه أو بصمة إبهامه . وبما أن معظم الرواة الذين أتعامل معهم من أبناء البادية الأميين الذين لايعرفون القراءة والكتابة ولايستطيعون التوقيع فإنني أحمل معي علبة صغيرة من حبر الأختام Stamp Pad لاستخدامه في البصمات .

ومن الضروري أن يعمل الباحث نسخاً من الأصول لجميع أعماله في الميدان سواء المدون منها أو المصور أو المسجل وذلك حتى يمكنه الرجوع إلى هذه النسخ فيما لو فقد الأصل .

١٠ر٣ - حفظ وفهرسة التسجيلات الصوتية :

لاأريد أن أتحدث هنا عن الأسس المتبعة في تصنيف مواد المأثور الشعبي في الأرشيفات والمتاحف الشعبية ، فذلك موضوع واسع يستحق بحثاً مستقلاً[٣٧] .

لكنني سأتحدث باختصار عن الطريقة التي ستطبق في حفظ وفهرسة الأشرطة الصوتية الخاصة بمشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية التي ستودع في الأرشيف الصوتي في كلية الآداب بجامعة الملك سعود . في هذا المشروع تسجل جميع المقابلات مع الرواة والإخباريين على أشرطة كاسيت من النوع الجيد موحدة اللون والماركة ومدة الشريط ساعة ونصف . وأشرطة الكاسيت أفضل من البكرات reel tapes نظراً لصغر حجمها وسهولة حملها وحفظها وتشغيلها . وقد وقع اختيارنا على الشريط الذي مدته ساعة ونصف لأنه يستوعب مادة أكثر من الشريط الذي مدته ساعة وإن كان لايختلف عنه من حيث الحجم والمتانة والأداء . أما الشريط الذي مدته ساعتان فإنه رقيق جداً وسريع العطب . وبعد التسجيل تستخرج ثلاث نسخ من الأصل على آلة النسخ السريع . وللتفريق بين الأصول والنسخ فإن الأولى لونها أحمر والأخرى لونها أزرق . والنسخ هي التي تستخدم في عمليات الفهرسة والتفريغ والدراسة ، أما الأصول فتحفظ في خزانات مغلقة ولا تستعمل إلا لعمل نسخ إضافية .

ونستخدم في النسخ جهاز من نوع High Speed Cassette to Casstte Printer Sony SSP-13B وهذا الجهاز يعمل من الأصل الواحد ثلاث نسخ في آن واحد ويستغرق نسخ الشريط الذي مدته ساعة ونصف أقل من أربع دقائق . وقيمة الجهاز عشرة آلاف ريال سعودي . وهذا الجهاز لايمكن التحكم في سرعته وتهدئتها ويسجل على وجهي الشريط في الوقت نفسه . وهناك نوع آخر من أجهزة النسخ الصوتي ليست له السرعة نفسها التي للجهاز الأول ولايعمل إلا نسخة واحدة ولكن له ميزات أخرى مفيدة في الحذف والإضافة وإعادة ترتيب المادة وما إلى ذلك من عمليات التنقيح editing . فهذا الجهاز له حاملان للأشرطة أحدهما يوضع فيه الأصل المراد نسخه والآخر يوضع فيه شريط النسخ . ويمكن التسجيل من شريط إلى آخر بالسرعة العادية كما يمكن مضاعفة السرعة . ويتم تسجيل كل وجه من الشريط على حده ويمكن إيقاف التسجيل عند أي نقطة . ويمكن استخدام الجهاز أيضاً كمسجل عادي للاستماع أو التسجيل بواسطة لاقط الصوت المثبت بالجهاز Built-in Microphone وقد أثبتت التجربة والمعاينة أن أفضل هذه الأجهزة نوع Sharp QT 77 الذي يتحلى بميزات أخرى بالإضافة إلى المواصفات التي ذكرناها . وهو صغير الحجم جيد الأداء لا تتجاوز قيمته أربعمائة وخمسين ريالاً .

وسوف تحفظ أصول الأشرطة والنسخ في خزانات خشبية داخل غرفة محكمة درجة حرارتها متوسطة وثابتة لأن الحرارة العالية أو تفاوت درجة الحرارة يتسبب في

تلف الأشرطة . وسوف ترقم الأشرطة وتصنف حسب الرواة والقبائل والمناطق فتضم أشرطة الراوي الواحد إلى بعضها الآخر في رزمة واحدة لتأخذ أرقاماً متسلسلة ، كما تضم أشرطة الرواة من القبيلة الواحدة أو المنطقة الواحدة إلى بعضها الآخر بحيث يتلو بعضها بعضاً في الترقيم ، وهكذا . ويكتب على كل شريط رقمه واسم الإخباري ومكان التسجيل وتاريخه ، كما تكتب المعلومات نفسها على الجانب الخلفي من العلبة التي يحفظ فيها الشريط . وتنضد الأشرطة في حاملات من نوع Trirack سعة الواحدة منها عشرون شريطاً . وهذه الحاملات مصممة بطريقة تسهل نضد الأشرطة فيها وإلقاء النظر عليها بسرعة وقراءة المعلومات المكتوبة على الجانب الخلفي من علبة الشريط . والخزانات التي تحفظ فيها الأشرطة كل منها مجهز بأربعة رفوف يتسع الرف الواحد منها لسبع من حاملات Trirack ، أي أن كل خزانة تتسع لثمان وعشرين حاملة ، أي خمسمائة وستين شريطاً ، ولكل خزانة باب زجاجي مزدوج يسهل فتحه ويسهل من خلاله قراءة المعلومات المكتوبة على الأشرطة .

وحالما تستخرج النسخ من الأصول تبدأ عملية الفهرسة . وتبدأ فهرسة كل شريط مع بداية الوجه الأول أو الوجه (A) . فيوضع الشريط المراد فهرسته في جهاز التسجيل على وجهه الأول وللتأكد من أن الفهرسة تبدأ مع بداية الشريط نضغط على مفتاح إعادة الالتفاف السريع reverse/rewind ثم نضغط على زر عداد جهاز التسجيل reset button ليبدأ عداد الجهاز digital Tape Counter في العد من الصفر . وبعد الانتهاء من فهرسة الوجه الأول نوقف الجهاز ونخرج الشريط لقلبه على الوجه الثاني ثم نعيد الخطوات السابقة نفسها .

ونستخدم للفهرسة أوراقاً ذات الحجم ٨,٥×١٤ بوصة حتى نستطيع فهرسة الشريط بكامله في أقل عدد ممكن من الأوراق ونكتب في أعلى الصفحة رقم الشريط ووجهه (الوجه الأول أو الوجه الثاني) واسم الراوية ومكان التسجيل وتاريخه ، يلي ذلك عناوين القصص ومطلع القصائد مرتبة حسب تسلسلها على الشريط . ونكتب في هامش الصفحة على اليمين من عنوان القصة أو مطلع القصيدة الرقم الذي يظهر على عداد جهاز التسجيل مع بداية القصة أو القصيدة . والقصد من ذلك تسهيل مهمة البحث عن هذه القصص والقصائد والرجوع إليها فيما بعد . ولكن يجدر التنبه إلى أن الاستدلال على المادة المطلوبة في الشريط بواسطة أرقام عداد جهاز التسجيل مسألة تقريبية حيث إن هناك تفاوتاً في سرعة انعداد بين الالتفاف العادي play والالتفاف السريع rewind أو fast forward . كما تختلف سرعة العداد باختلاف

ماركة الجهاز ، لذا يستحسن أن يوضح في الفهرست نوع الجهاز المستخدم في الفهرسة . وعن يسار مطلع القصيدة نكتب اسم قائلها وعدد أبياتها حتى نستطيع فيما بعد بمجرد نظرة سريعة إلى الفهرس أن نحصر مالدينا من قصائد للشاعر الواحد ونعرف مدى التفاوت في عدد الأبيات بين الروايات المختلفة للقصيدة نفسها ، وكذلك اختلاف الرواة في نسبة القصيدة الواحدة إلى أكثر من شاعر .

وقد تستغرق فهرسة الشريط الذي مدته ساعة ونصف عدة ساعات لأنه لابد من الإنصات جيداً إلى الشريط بكامله وتعداد أبيات كل قصيدة بيتاً بيتاً واستيعاب مضمون كل قصة لاختيار العنوان أو الموجز المناسب لها ثم إيقاف جهاز التسجيل من حين لآخر (يستحسن استخدام مفتاح التوقف المؤقت Pause) من أجل إثبات هذه المعلومات في الفهرس[٣٨] .

وبعد الانتهاء من فهرسة الأشرطة تودع في الأرشيف ولا يسمح بالاستماع لها إلا لذوي الاختصاص من الأكاديميين الذين يرغبون الاستفادة من المادة المسجلة عليها في دراساتهم اللغوية والأدبية والتاريخية والاجتماعية . ويؤخذ تعهد خطي على كل من يريد استخدامها بأنه لن يعمل منها نسخاً أخرى ولن يستغلها استغلالاً تجارياً ولن يستخدم مادتها أو يعممها بأي شكل يسيء إلى الجامع أو إلى الرواة والإخباريين أو إلى الأشخاص أو الجماعات الذين يرد ذكرهم في هذه الأشرطة .

ولابد من اتخاذ هذه الإجراءات الاحتياطية للحفاظ على حق الجامع ولأن المادة المسجلة قابلة للاستغلال التجاري وذلك بتفريغها وطبعها في دواوين وبيعها في الأسواق . ثم إن المادة المسجلة ذات حساسية مفرطة من الناحية الاجتماعية والسياسية والقبلية لأنها تتناول أحداثاً تاريخية سبقت توحيد المملكة العربية السعودية حينما كانت الفوضى السياسية والنزاعات القبلية تعم المنطقة . وحفاظاً على مصلحة الرواة ولطمأنتهم كي يدلوا بما عندهم من أخبار وأشعار فلقد تعهد لهم الجامع بأن المادة المسجلة سوف تستخدم للأغراض الأكاديمية الصرفة فقط ، وأنها لن تنشر للناس وتعمم ولن تستغل استغلالاً يسيء إليهم أو إلى الأشخاص أو المجموعات الذين يتحدثون عنهم .

وعلى كل ، فإن استغلال المادة التي تجمع من أفواه الناس عن طريق العمل الميداني بأي شكل يسيء إلى الإخباريين والرواة الذين جادوا بهذه المادة ـ هذا من شأنه أن يحطم جسور الثقة والتعاون والتفاهم التي يحاول الباحثون الميدانيون أن يشيدوها بينهم وبين عامة الناس على اختلاف مشاربهم التي هي من ضروريات العمل الميداني .

٤ - العمل الميداني عند العرب

يكـاد يجمع علماء الفلكلور عـلى أن العمل الميـداني من مستحدثـات القـرن العشرين وأن أول من زاوله المتخصصون بالدراسات اللغوية والانثروبولـوجية في أوروبا وأمريكا . ويغيب عن أذهان الكثيـرين من المشتغلين بالعلوم الاجتمـاعية والإنسانية أن علماء العرب الأوائل كانوا قد مارسوا العمل الميداني منذ ثلاثة عشر قرناً وأن علم اللغة والأدب عند العرب قد قام في بدايتـه على تـدوين الشعر الشفهي والأخبار المتوارثة من أفواه الرواة والإخباريين . وهذا ما سنتكلم عنه فى الصفحات التالية .

لم يخص علماء العرب الأوائل العمل الميداني بمؤلفات مستقلة تبين منهجهم في البحث . وهم في ذلك لايختلفون كثيراً عن علماء الفلكلور في عصرنا الحاضر . فقد أشرنا في بداية هذا البحث إلى ندرة الكتب والمقالات المتعلقة بهذا الموضوع وألمحنا إلى أن الفلكلوريين يرون أن الممارسة أفضل وسيلة لاكتساب الخبرة الضرورية للقيام بالعمل الميداني على الوجه المطلوب . ولكن على الرغم من أن علماء العرب لم يكتبوا بطريقة مباشرة عن المناهج التي اتخذوها في استجواب الرواة وفي جمع واستقصاء المادة اللغوية والأدبية من مصادرها الشفهية إلا أنه يمكننا استنباط ذلك عن طريق تتبع الشواهد والأدلة غير المباشرة والمتناثرة في ثنايا أمهات الكتب .

ولعل أول من حاول جمع هذه الأدلة والشواهد ولمّ شتاتها عبدالـرحمن جلال الدين السيوطي في كتابه *المـزهر في علوم اللغـة وأنواعهـا* [٣٩] الذي كـرس فيه ما لا يقل عن فصلين لهذا الغرض : أحدهما عنوانه « معرفة من تقبل روايته ومن ترد »[٤٠] ويضم عدة عناوين فرعية مثل « اللغـة تؤخذ سمـاعاً » و « الأخـذ عن الصبيان » و « رواية أشعار المجانين » . . . الخ . وعنوان الفصل الآخر « معرفة آداب اللغوي »[٤١] ويضم عدة عناوين فرعية منها « الرحلة » و « الرفق بمن يؤخذ عنهم » و « ذكر كيفية العمل عند اختلاف الرواة » و « امتحان القادم » . . . الخ . ومن المؤلفات المعاصـرة ، التي لبّت حاجـة ملحّة وسـدت فراغـاً كبيراً ، كتـاب

رواية اللغة للدكتور عبدالحميد الشلقاني الذي تطرق فيه بشيء من التفصيل لمناهج البحث الميداني عند علماء البصرة والكوفة[٤٢] . ولا يفوتني أن أنوه بمقالتين كتبهما الدكتور طه الحاجري ، الأولى نشرها في مجلة *الكاتب المصري* بعنوان « أبو عبيدة »[٤٣] ، والثانية نشرها في *مجلة كلية الآداب* بجامعة الإسكندرية بعنوان « الرواية والنقد عند أبي عبيدة »[٤٤] .

كان البحث الميداني عند علماء البصرة والكوفة في مراحله الأولى يقوم على الأخذ من الأعراب الذين يفدون من البادية لقضاء حوائجهم في سوق المربد عند البصرة أو الكناسة عند الكوفة . ومن العلماء الذين اشتهروا بالأخذ عن هؤلاء الأعراب الوافدين إلى المدن أبو عبيدة والأصمعي والجاحظ . وكان الأصمعي يكتب عن الأعراب في المربد في ألواح[٤٥] . ويقول ياقوت إن الجاحظ « تلقى الفصاحة عن العرب شفاهاً بالمربد »[٤٦] . وأخذ أبو عبيدة عن ابن داود بن متمم بن نويرة شعر أبيه متمم ؛ يقول أبوعبيدة عن هذا الإخباري « قدم البصرة في بعض مايقدم له البدوي من الجلب والميرة ، فنزل النحيت ، فأتيته أنا وابن نوح العطاردي ، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ، فلما نفد شعر أبيه ، جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهدها . فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله »[٤٧] . وقد ذكر الشلقاني أسماء ما يقرب من أربعين أعرابياً وأعرابية أخذ عنهم علماء البصرة[٤٨] .

إلا أن البحث الميداني عند العرب لم يستمر على هذا النمط ، بل اتجه وجهة أخرى ، إذ أخذ العلماء يشدّون الرحال إلى جوف الصحراء ويتغلغلون في أعماق المجتمع البدوي لجمع اللغة والشعر والأمثال من فصحاء العرب الأقحاح . وقد احتد التنافس بينهم في هذا الأمر حتى إن علماء البصرة كانوا يفخرون على علماء أهل الكوفة بقولهم : « نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع (أي البدو الأقحاح) وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ (أي الحضر) »[٤٩] . ويقول أبوعبيدة « أخذنا اللغة من الأعراب البوالين على أعقابهم »[٥٠] .

وفيما ذكره البصريون عن الكوفيين شيء من المبالغة ، فقد رحل علماء الكوفة أمثال الكسائي وأبي عمرو الشيباني وعبدالله بن سعيد الأموي إلى البادية وأخذوا عن

العرب الخلص . يقول ياقوت عن الكسائي « خرج ورجع وقد انفد خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ »(٥١) ويقول ثعلب « دخل أبوعمرو إسحاق بن مرار البادية ومعه دستيجتان من حبر فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب »(٥٢) .

ومن علماء البصرة الذين رحلوا إلى البادية أبوعمرو بن العلاء الذي قال عنه أبوعبيدة : « كانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى قريب من السقف . . . وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية »(٥٣) . والأصمعي لا يشق له غبار في هذا المجال . يقول الشلقاني « وأكثر من جال في البادية عبدالملك بن قريب الأصمعي وهو يكاد يذرع البادية فتراه في حمى ضرية يستمع إلى غلام من بني أسد وفي بلاد بني عامر يستنشد رجلاً من أهلها ويناقش أعرابية في منى وفي أودية بني العنبر »(٥٤) . يقول الأصمعي عن تجربته في البادية « سمعت صبية بحمى ضرية يتراجزون ، فوقفت وصدوني عن حاجتي ، وأقبلت أكتب ما أسمع إذ أقبل شيخ فقال : أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الأدناع ؟ »(٥٥) ويقول في مناسبة أخرى « كنت أغشى بيوت الأعراب ، وأكتب عنهم كثيراً حتى ألفوني ، وعرفوا مرادي ، فأنا يوم مار بعذارى البصرة ، قالت لي امرأة : يا أبا سعيد ائت ذلك الشيخ ، فإن عنده حديثاً حسناً ، فاكتبه إن شئت . قلت : أحسن الله إرشادك ، فأتيت شيخاً هِمّا فسلمت عليه ، فرد علي السلام ، وقال : من أنت ؟ قلت : أنا عبدالملك بن قريب الأصمعي ، قال : ذو (الذي) يتتبع الأعراب فيكتب ألفاظهم ؟! قلت : نعم ، وقد بلغني أن عندك حديثاً حسناً معجباً رائعاً ، وأخبرني باسمك ونسبك ، قال : نعم ، أنا حذيفة بن سور العجلاني . . . »(٥٦) .

ويروى عن الأصمعي قوله :

سهرت ليلة من ليالي بالبادية ، وكنت نازلاً عند رجل من بني الصيداء من أهل القصيم ، وكان ـ والله ـ واسع الرحل ، كريم المحلّ ، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق ، فأتيت أبا مثواي فقلت : إني قد هلعت من الغربة واشتقت أهلي ولم أفد في قدمتي هذه إليكم كبير علم ؛ وإنما كنت أغتفر وحشة الغربة وجفاء البادية للفائدة فأظهر توجعاً ،

ثم جفاء ، ثم أبرز غداء له فتغديت معه ، وأمر بناقة له مهرية كأنها سبيكة لجين فارتحلها واكتفلها ، ثم ركب وأردفني وأقبلها مطلع الشمس ، فما سرنا كبير مسير حتى لقينا شيخ على حمار له جمة قد ثمغها كالورس فكأنها قُنّبيطة وهو يترنم ، فسلم عليه صاحبي وسأله عن نسبه ، فاعتزى أسدياً من بني ثعلبة ، فقال : أتنشد أم تقول ؟ فقال : كُلًّا ، فقال ، أين تؤم ؟ فأشار إلى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه ، فأناخ الشيخ وقال لي : خذ عمك فأنزله عن حماره ، ففعلت ؛ فألقى له كيساً قد كان اكتفل به ، ثم قال : أنشدنا - رحمك الله - وتصدّق على هذا الغريب بأبيات يعيهن عنك ويذكرك بهن : فقال : إي ها الله إذا ! ثم أنشدني . . . . [٥٧] .

ونستطيع أن نستخلص من هذه الشواهد منهج العرب في البحث وطريقتهم في استجواب الإخباريين والتعامل معهم . فنلاحظ مثلاً أن الأصمعي كان بالإضافة إلى جمع النصوص اللغوية والأدبية حريصاً على تحديد مكان جمع المادة وتحديد عمر الإخباري واسمه وقبيلته وغير ذلك من المعلومات التوثيقية التي سبق وأن أشرنا في حديثنا عن الأداء والمؤدين إلى أنها من أساسيات العمل الميداني . ولم يكن ذلك منهج الأصمعي وحده ، بل إننا نجد الحرص نفسه على تدوين هذه المعلومات الأساسية عند أبي عمرو بن العلاء ، كما في قوله « لقيت أعرابياً بمكة فقلت له : ممن أنت ؟ قال : أسدي . قلت : ومن أيهم ؟ قال : نهدي . قلت : من أي البلاد ؟ قال : من عمان . قلت : فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنا سكنا قطراً لانسمع فيه ناجخة التيار . قلت : صف لي أرضك . قال : سيف أفيح ، وفضاء صحصح ، وجبل صردح ، ورمل أصبح ؛ قلت : فما ما لك ؟ قال : النخل ، قلت : فأين أنت عن الإبل ؟ قال : إن النخل حملها غذاء ، وسعفها ضياء ، وجذعها بناء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وخوصها وعاء ، وقروها إناء »[٥٨] .

ويتضح لنا من هذا النص خبرة أبي عمرو بن العلاء ومهارته في استجواب الإخباري واستدراجه إلى الحديث . ولم يكن الأصمعي أقل خبرة من أبي العلاء في هذا المضمار . فقد لاحظنا في نص سابق كيف كان يتودد إلى أحد الإخباريين ويمتدحه قائلاً : « بلغني أن عندك حديثاً حسناً رائعاً » ليستحثه على الإدلاء بما لديه

من أشعار وأخبار . ويبدو أن لهم طرقاً مدروسة في استجواب الرواة والإخباريين الذين يأخذون عنهم . يقول الشلقاني عن هؤلاء الإخباريين : « فكان طلاب اللغة يتعلقون بهم ويستمعون إليهم ، ويكتبون عنهم أو يهيئون لهم الأسئلة بطريقة يفهمها الأعرابي ، وقد يتكلفون في السؤال وضعاً خاصاً يتطلب إجابة خاصة ، وقد يحملونهم على مجرد الكلام »[٥٩] . ويتضح لنا ذلك من هذا الموقف « سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف ، فمر أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الأعرابي فقال له أبو عمرو : دعني فأنا ألطف بسؤاله وأعرف »[٦٠] . وفي موقف آخر يناقش أبوبكر بن دريد أبا زيد في مسألة لغوية ويمر بهما أعرابي محرم فأراد ابن دريد أن يسأله فقال له أبوزيد « دعني فأنا أعرف بسؤاله منك »[٦١] .

ولم ينظر العلماء العرب إلى الإخباريين نظرة تكبر واستعلاء أو على أنهم أعراب أميين وبدو أجلاف ، بل كانوا يجلونهم ويحترمونهم . وقد مر بنا كيف أن الأصمعي أخذ بيد أحد الإخباريين ليساعده في النزول من على حماره . كما مر بنا كيف كان أبوعبيدة يقوم بحاجة ابن داود بن متمم بن نويرة ويكفيه ضيعته . وكان أحد الإخباريين وهو شبيل بن عزرة الضبعي يألف حلقة أبي عمرو بن العلاء وكان أبو عمرو يجله ويحترمه ويلقي له لبد بغلته ليجلس عليه[٦٢] . وكان العلماء يحترمون آراء الإخباريين وتفسيراتهم ويأخذون بها وكانوا يحتكمون إليهم في المسائل اللغوية وفي معاني الشعر . والمسألة الزنبورية مشهورة ولا داعي لذكرها هنا لأن الجميع يعرفها . ومن ذلك ما يروى عن الأصمعي أنه قرأ في أحد مجالسه قصيدة لأبي ذؤيب فلما وصل الى قوله « بأسفل ذات الدير أفرد جحشها » قال أعرابي حضر المجلس « ضل ضلالك أيها القارىء ، إنما هي ذات الدبر وهي ثنية عندنا » فأخذ الأصمعي بذلك فيما بعد [٦٣] . وكان رؤبة بن العجاج يفسر أشعار امرىء القيس ليونس بن حبيب[٦٤] .

وهكذا نجد أن العلماء العرب في بحوثهم الميدانية لم يكتفوا بجمع النصوص العارية ، بل كانوا حريصين على جمع المعلومات الضرورية عن الإخباريين ، وكذلك الشروح والتعليقات التي تعينهم على فهم وتذوق مايجمعونه من نصوص أدبية ولغوية . والرحلة إلى البادية مكنتهم من التعرف على طبيعة الصحراء والمجتمع البدوي وبيئته الاجتماعية الصحيحة التي استمد منها صوره وأخيلته ومواضيعه . يقول الشلقاني « لم تقتصر الفائدة المرجوة من هذه الرحلات على مجرد الاطمئنان

والنقل عن خلص الأعراب ، ولكن الرواة تعرفوا على طبيعة هذه الأماكن وعلى طبائع ساكنيها ، وعرفوا نبتها ، وجبالها ، ووديانها وأعانتهم هذه المعرفة على تفسير غوامض الشعر واكتشاف صحيحه من زائفه »[٦٥] . ثم يردف قائلاً « وكذلك تعرّف الرواة على البلدان والأماكن فعادوا يحملون علماً غزيراً غير اللغة ومفرداتها ، عادوا يعرفون بالجزيرة وبمعالمها واستطاع رجل كالأصمعي بسبب توسعه في هذه الرحلات أن يلم إلماماً كبيراً بطبيعة البادية وأن يضع فيها كتاباً يسميه (كتاب جزيرة العرب) »[٦٦] . ونتيجة لهذه النشاطات العلمية حدث تفجر معرفي هائل وألفت الكتب الكثيرة عن أيام العرب وأنسابها وديارها ومواردها وعن نباتات الصحراء وحيواناتها وتضاريسها وغير ذلك من المواضيع التي كانت قد أُلِّفت في الأساس كمرجع لتفسير الشعر الجاهلي إلا أنها استقلت فيما بعد وأصبحت مواضيع قائمة بذاتها .

ولاستيفاء جوانب الحديث عن البحث الميداني عند العرب لا محيص لنا من الإشارة ولو بإيجاز شديد إلى منهج أبي عبيدة معمر بن المثنى كما وضحه الدكتور طه الحاجري في مقالتيه اللتين سبق التنويه بهما . ولا نغالي إذا قلنا إن المنهج الذي اتخذه أبو عبيدة منذ أكثر من إثني عشر قرناً يخوله لأن يحتل مركزاً متقدماً في صفوف علماء اللغة والفلكلور في عصرنا الحاضر .

يقول طه الحاجري إن أصل أبي عبيدة الخزري مكنه من التحرر من ربقة الإلف للحياة العربية ، هذا الإلف الذي يحيط بالعربي ويصد عنه شعور العجب الذي يعتبر من أكثر البواعث على أن يتنبه الرجل لما حوله تنبهاً قوياً ويراه جديراً بالتسجيل[٦٧] . كان أبوعبيدة راوية مدققاً يسند الأخبار إلى أصحابها ويتحرى الصدق والدقة . وكان لا يتردد في إيراد الروايات المختلفة للخبر نفسه ، ويروي في الموضع الواحد عن عدة رواة ، وهو حريص على استيفاء تفاصيل الصورة بكل أجزائها ويؤديها كما رويت له ، في العبارة والمعنى ، لذلك « كانت روايته لأيام العرب أصدق صورة وأدقها للحياة العربية ، كما كان يتمثلها هؤلاء الأعراب ، وهم أقرب الناس صلة بها ، وأدناهم إلى تمثلها : فالعبارة عربية بدوية ، والسياق عربي بدوي ، والصورة عربية بدوية خالصة »[٦٨] . هذا الحرص على تمييز الروايات المختلفة وإفراد كل رواية على حدة وإسنادها إلى صاحبها وإيرادها بالعبارة نفسها التي

رويت بها يؤكد على أن أبا عبيدة لا يختلف كثيراً في منهجه عن علماء الفلكلور المعاصرين .

ويتفق أبوعبيدة مع علماء الفلكلور المعاصرين أيضاً من الناحية النظرية . فهو لايجمع قصص العرب وأشعارهم كمادة أدبية ولغوية فحسب ، بل كانت من وجهة نظره مرآة حضارية واجتماعية ومصدراً يعين الباحث على تمثل الحياة العربية قبل الإسلام ، أي أن أبا عبيدة كان حريصاً على معرفة السياق الاجتماعي والإطار الحضاري للشعر العربي وذلك من أجل فهم هذا الشعر فهماً سليماً والتعرف على خصائصه الفنية . يقول الحاجري عن أبي عبيدة :

لم يكن من رواة الأخبار بالمعنى القريب اليسير ، فيكفيه من القصة أن يروي حوادثها ، ويسوق أجزاءها ، كيفما اتفق له ، ويظفر من ذلك بإرضاء النزوع الساذج عند العامة . وإنما كان ـ كما أتيح لنا أن نرى من قبل ـ يتعمق ويتغلغل ويستقصي لالتماس المقومات المختلفة للحياة العربية ، حتى يستطيع أن يتمثلها تمثلاً صادقاً شاملاً دقيقاً ، ويتعرف جو هذه الأقاصيص تعرفاً مستبصراً دائباً ، حتى يحيط بوجوهه المختلفة . وقد يكون في تلك الأخبار ، مع هذا التقصي ، مايتيح له بعض ذلك ، ولكن هنالك ـ ولا ريب ـ ما لا يتيحه له غير شعر هؤلاء الشعراء الذين عاشوا في ذلك الجو وانطبعوا به ، ولايكاد يجد الوسيلة إليه في غير تلك الصورة الشعرية التي تعبر عنه تعبيراً دقيقاً ، وتصوره تصويراً حياً نابضاً . وبذلك كانت دواعي أبي عبيدة إلى رواية الشعر لا تقف عند المقتضيات القريبة لرواية الخبر ، كما هو الشأن في عامة الرواة . وجدير بمثل هذا الاعتبار أن يرفع من مكانته في رواية الشعر ، ويميزه فيها عن غيره من رواة الأخبار .

وكما كان لهذا الاتجاه أثره على ذلك النحو في رواية أبي عبيدة للشعر ، كذلك كان له أثره في مبلغ فهمه له ، وإدراكه لمعانيه . ذلك أن تمثله للحياة العربية الجاهلية هذا التمثل ،

وإحاطته نفسه بصورها ومدركاتها ، واستغراقه في ذلك ، من شأنه أن يجعله أدنى إلى فهم الصور الفنية الصادرة عنها ، وأدق في إدراكها ، إذ يجعل معرفته للغة بدلالاتها الإفرادية والتركيبية معرفة حيّة متصلة عنده بحقائقها ، لا معرفة حفظ وتلقين فحسب[٦٩] .

من خلال هذا العرض السريع لجهود العرب الأوائل في مجال جمع اللغة العربية والأدب الجاهلي من المصادر الشفهية نرى أن هذه المادة اللغوية والأدبية لا تخرج في طبيعتها عما نسميه في وقتنا الحاضر بالمأثورات الشفهية ، وأن مناهج علماء العرب في جمع هذه المادة وتدوينها لا تختلف كثيراً عن المناهج التي يتقيد بها علماء الفلكلور المعاصرون . ويمكننا أن نقول ذلك أيضاً عن جهود العلماء في جمع الحديث الشريف والتاريخ والأنساب وغير ذلك من المعارف والمأثورات التي تتعلق بحياة العرب في الجاهلية وصدر الإسلام . ومن المعلوم أن العرب قبل ظهور الإسلام كانت أمة لاتعرف القراءة والكتابة لذلك اعتمدت على الرواية الشفهية لحفظ تاريخها وتراثها الأدبي والحضاري . فلما ازدهرت الحضارة العربية ونشطت حركة الجمع والتدوين في العصر الأموي كانت صدور الرجال وشفاه الرواة هي المستودع الذي استقى منه العلماء مادتهم الأساسية .

وقد يعترض بعضهم على تسمية الأدب الجاهلي ، شعره ونثره ، أدبا شفهيا ، أو أدبا شعبياً ، لأنه أصبح في الوقت الحاضر يمثل قمة الفصاحة ودخل في عداد الأدب المكتوب الذي لايحفظه ويتناقله إلا النخبة من المثقفين والمتعلمين . غير أن أصل الأدب الجاهلي شيء وما آل إليه في الوقت الحاضر شيء آخر . فشعراء الجاهلية كانوا شعراء أميين لم يتعلموا لغتهم فى المدارس ، كما نفعل نحن الآن ، ولكن تلقنوها مشافهة من آبائهم وأندادهم ، وتناقلوا شعرهم عن طريق الحفظ والسماع .

ولما ظهر الإسلام وانتشر في البلدان المجاورة ودخلت فيه أمم أخرى غير العرب بدأت اللغة العربية تتغير بسرعة ملحوظة نتيجة اختلاط العرب بالأجناس الأخرى وظهرت لهجات وعاميات تختلف اختلافاً واضحاً عن لغة العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، أو ما نسميه الآن اللغة العربية الفصحى . ولم يقض ظهور هذه اللهجات على الفصحى لأن القرآن نزل بها وضمن لها القدسية والخلود والمكانة العالية . لكن

وظيفة الفصحى بدأت تتغير مع التغير اللغوي الذي صاحب انتشار الإسلام . فبعد أن كانت لغة التخاطب والتعبير الشعبي والأدب الشفهي أصبحت لغة الدين والدولة والعلم والفكر والأدب المكتوب . وهكذا أصبحت هناك لغتان : لغة التخاطب العامية التي يتكلمها الإنسان بالسليقة واللغة الفصحى التي يحتاج تعلمها إلى كد وجهد[٧٠] .

من هنا يتضح لنا أن علماء العرب ، وإن اتفقوا مع علماء الفلكلور المعاصرين في طريقة الجمع ومنهج العمل وبعض التوجهات النظرية ، كما أسلفنا القول ، يختلفون عنهم في الأهداف والغايات . كانت الدوافع التي دفعت علماء المسلمين إلى جمع الأدب الجاهلي دوافع دينية تنتهي إلى القرآن . فقد أحسوا منذ البداية أن واجبهم الديني يحتم عليهم المحافظة على اللغة الفصحى ، لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، فهبوا ، كما رأينا آنفاً ، لجمع نماذج منها لدراستها واستنباط قواعدها . كان هدفهم الأول والأخير هو تفسير الغريب والمشتبه من معاني القرآن ، وتبيان أوجه المجاز والإعجاز فيه ، والمحافظة عليه من تسرب اللحن إليه . ومما يؤثر عن عبدالله بن عباس ، أول من قام بتفسير القرآن ، قوله « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب » . وكان إذا سئل عن شيء من القرآن قال فيه شعراً[٧١] .

وقد اقتصرت جهود علماء العرب في جمع المادة اللغوية والأدبية على زمان معين ومكان محدد . المكان هو وسط الجزيرة حيث تقطن القبائل المشهود لها بالفصاحة التي ظلت بحكم العزلة وعدم الاختلاط مع العناصر الأجنبية تتكلم الفصحى لمدة طويلة بعد أن « فسدت » لغة الأمصار . أما الزمان فهو مايسمى عصر الفصاحة ، أو عصر الاستشهاد ، أو عصر الاحتجاج . ويبدأ هذا العصر من أول نص شعري وصل إلينا من نصوص العصر الجاهلي وينتهي بنهاية القرن الثاني الهجري . ومع نهاية عصر الاحتجاج بدأ دور العربية الفصحى يتقلص واقتصر استعمالها على الكتابة والمخاطبات الرسمية وتغلبت عليها العاميات واللهجات التي حلت محلها في التخاطب اليومي والتعبير الشعبي والأدب الشفهي[٧٢] .

ولم يهتم علماء المسلمين بدراسة اللهجات العامية وآدابها لأنها لا تخدم غرضاً دينياً ، ونظروا إليها بإزدراء واستهجان واعتبروها فساداً وانحداراً وليس مجرد

تغير لغوي يحتمه الزمن ، كما يرى اللغويون المحدثون . وفي تلك الأثناء كانت جذوة الإبداع الفكري والابتكار العلمي في مجال الدراسات اللغوية والأدبية والدينية قد بدأت تخبو ليحل محلها التقليد وتتبع أثـر السلف . ولم يتمكن العرب من تـطوير المناهج والنظريات التي استخدموها في دراسة الأدب الجاهلي وتطبيقها في دراسـة اللهجات العامية وآدابها . والمكانة العالية التي تحظى بها اللغة العربية الفصحى عند العرب والمسلمين كرست في أذهان الكثيرين الفكرة الخاطئة التي مؤداها أن اللغة هي المعيار الذي تقاس به جودة الأدب . فجودة الأدب في نظرهم رهن بمدى قرب لغته أو بعدها من لغة الأدب الجاهلي . وابن خلدون ، بفكره الثاقب وفطنته المعهودة ، هو أول من أشار إلى خطأ هذه الفكرة ونبه إلى قيمة الآداب العامية وأهمية دراستها ، يقول في مقدمته :

> **والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد ، وخصوصـاً علم اللسان ، يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها ويمج نظمهم إذا أنشد ، ويعتقد أن ذوقه إنما نبـاعنها لاستهجـانها وفقدان الإعراب منها . وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم . فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشبهد له طبعه وذوقه ببلاغتها إن كـان سليماً من الآفـات في فطرتـه ونظره ، وإلا فـالإعراب لا مدخل له في البلاغة ، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه ، سواء كان الرفع دالاً عـلى الفاعل والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس . وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام ، كما هو في لغتهم هذه . فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة : فإذا عرف اصطلاح في ملكـة واشتهر صحت الدلالة ، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة . ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك[٧٣] .**

الحواشي والمراجع

(1) Goldstein, Kenneth S. A **Guide for Field Workers in Folklore.** Folklore Associates Inc., Hatboro, Pennsylvania 1964 : xiii-xiv, 5-9.

(2) Gomme, George Laurence. **The Handbook of Folklore.** London 1890 : 167-172.

(3) Burne, Charlotte Sophia. **The Handbook of Folkore.** London 1914 : 6-19.

(4) O Suilleabhain, Sean. **A Handbook of Folklore.** Dublin 1942 : xi-xiii.

(5) Clarke, Kenneth and Mary. **Introducing Folklore.** Holt, Rinehart, and Winston, Inc., London 1963 : 110-115.

(6) Brunvand, Jan Harold. **The Study of American Folklore : An Introduction.** W. W. Norton and Company Inc., New York 1968 : 11-14.

(7) Dorson, Richard M. **Buying the Wind.** The Universuty of Chicago Press, Chicago 1964 : 1-20.

(8) Gardner, Emelyn E. **Folklore from the Schohaire Hills New York** University of Michigan Press, Ann Arbor Michigan 1937 : 1-8.

(9) Lomax John. **Adventures of a Ballad Hunter.** Macmillan, New York 1947.

(10) a) Addy, S.O. "The Collection of Folklore", **Folklore** (13) 1902.

b) Bauman. Richard. "Y.L. Cahan's Instructions on the collecting of Folklore", **New York Folklore Quarterly** (18) 1962 : 284-89.

c) Bauman, Richard. "The Collecting of Proverbs", **Western Folklore** (22) 1963 : 271-72.

d) Burne. Charlotte Sophia. "The Collection of Folklore". **Folklore** (13) 1902 : 299-302.

e) Crooke, William. "The Collection of Folklore", **Folklore** (13) 1902 : 302-307.

f) Jones, Louis C. "A Student Guide to Collecting Folklore", **New York Folklore Quarterly** (2) 1946 : 148-53.

g) Lindgren, E. J. "The Collection and Analysis of Folklore", **The Study of Society : Methods and Problems.** (F. Bartlett et al., eds.) London 1939 : 328-78.

h) Opie, Peter. "The collection of Folklore in England", **Journal of the Royal Society of Arts** (101) 1953: 697-714.

i) Seligmann, C. G. "The Collection of Folklore", **Folklore** (13) 1902 : 310-12.

j) Skeat, Walter. "The Collection of Folklore", **Folklore** (13) 1902 : 307-10.

(11) Leach, MacEdward. "Problems of Collecting Oral Literature", **Publications of the Modern Language Association** (77) 1962 : 335-40.

(12) MacDonald, Donald A. "Fieldwork : Collecting Oral Literature", **Folklore and Folklife : An Introducion.** (Richard M. Dorson, ed.) The Universuty of Chicago Press, Chicago and London 1972 : 407-30.

(13) see footnote (1) above.

(14) Ives, Edward D. **The Tape-Recorded Interview : A Manual for Field Workers in Folklore and Oral History.** The University of Tennessee Press, Knoxville 1974.

(١٥) كمال ، صفوت . « جمع العناصر الشعبية » **الفنون الشعبية** (٦) ١٩٦٨ : ٨٥ ـ ٩٢ .

(١٦) الطيب ، الطيب محمد ، ومصطفى مبارك مصطفى ، ومحمد عمر بشاره . **دليل الباحث السوداني لجمع الفلكلور** . المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون ، وزارة الثقافة والإعلام ، جمهورية السودان الديمقراطية ، ١٩٧٣ م .

(١٧) الجوهري ، محمد محمود ، وعلياء شكري ، وعبد الحميد حواس . **الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية** . مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٧٠ م .

(١٨) الجوهري ، محمد محمود . **علم الفلكلور ، الجزء الأول : الأسس النظرية والمنهجية** . دار المعارف ، القاهرة (ط ٤) ١٩٨١ م : ٥٧٥ ـ ٦٤٥ .

(١٩) مرسي ، أحمد علي . **مقدمة في الفلكلور** . دار الثقافة للطباعـة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥ م : ١٤٨ ـ ١٨٤ .

(٢٠) مرفق مع هذا الكتاب صورة (الملحق الثاني) من الطلب المقدم إلى مركز البحوث بكلية الآداب لتمويل المشروع الذي تمت الموافقة عليـه من قبل المجلس العلمي بجامعة الملك سعود ، وذلك من أجل أن يتعرف القارىء على المشروع ومن أجل أن يطلع على الطلب كنموذج للصيغة التي يقـدمها صاحب البحث أو المشروع للجهة الممولة .

(٢١) للحصول على معلومـات تفصيلية عن استخـدام الاستبيان في الـدراسات الفلكلورية في أوروبا انظر :

a) Lindgren, E. J. "The collection and Analysis of Folklore", **The Study of Society : Methods and Problems.** (F. Bartlett et, al, eds.) London 1939 : 328-78.

b) "The Collection of Folklore", and "The Archiving of Folklore", in **Four Symposia on Folklore.** (Stith Thompson, ed.) Bloomington 1953.

(22) **Notes and Queries in Anthropology.** Written by a Committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland. London 1874.

(23) see footnote (2) above.

(24) see footnote (3) above.

(25) Peate, Iorwerth C. **Guide to The Collection of Welsh Bygones.** The National Museum of Wales and the Press Board of the University of Wales, Cardiff 1929.

(٢٦) عن إسهامات علماء السـويد انـظر ص vii في المقدمـة Preface لكتاب أوسلبان المشار إليه في الحاشية (4) أعلاه . انظر أيضاً :

a) Eriksson, Manne. "Indexing Materials in the Institute for Dialect and Folklore Research at Uppsala, Sweden", **The Folklore and Folk Music Archivist,** Vol. 4, no. 1 (Spring 1961).

b) Hedblom, Folke."The Institute for Dialect and Folklore Re-

search at Uppsala, Sweden", **The Folklore and Folk Music Archivist,** Vol. 3, no. 4 (Winter 1961).

(27) see footnote (4) above.

(٢٨) انظر الحاشية رقم (١٧) أعلاه .

(٢٩) انظر مثلا :

a) Dorson, Richard M. "The Michigan State University Folklore Archive", **Midwestern Folklore** (5) 1955 : 51-59.

b) Jones, Louis C. "The Farmers Museum Folklore Archive", **The Folklore and Folk Music Archivist,** Vol. 2, no. 2 (Summer 1959).

(٣٠) انظر الملحق الثاني المرفق مع هـذا الكتاب وانـظر أيضاً الجـوهري : **علم الفلكلور** ص ص : ٥٨٤ - ٥٨٨ .

(٣١) ص ٤٠ .

(٣٢) **الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية** . ص ٣٨ .

(٣٣) ولكن انظر الملحق الثاني المرفق مع هذا الكتاب .

(٣٤) انظر مثلاً :

Lord, Albert. **The Singer of Tales.** Atheneum, New York 1960.

(35) Sydow, Carl Wilhelm von "Folktale Studies and Philology : Some Points of View". **The Study of Folklore.** (Alan Dundes, ed.) Prentice-Hall Inc., Englewood cliffs, N. J. 1965 : 219-242.

(٣٦) مرسي . **مقدمة في الفلكلور** . ص ص : ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣٧) انظر المصادر المذكورة في الحاشيتين (٢١) و (22) وانظر أيضاً :

a) Gilmore, Francis. "The University of Arizona Folklore Archive", **The Folklore and Folk Music Archivist,** vol. 2, no. 1 (Spring 1959).

b) Hautala, Jouko and Urpo Vento. "The Folklore Archives of the Finnish Literature Society", **The Folklore and Folk Music Archivest,** vol. 8 no. 2 (Winter 1965-66).

c) James, Thelma G."Problems of Archciving" **The Folklore and Folk Music Archivist,** 1 (1958).

d) Korson, Rae."The Archive of Folk Song in the Library of Congress", **The Folklore and Folk Music Archivist,** vol. 2 no. 1 (Spring 1959) : vol. 2 no. 2 (Summer 1959).

e) List, George. "Archiving Sound Recordings", **Phonetica** 6 (1961).

f) Suppan, Wolfgang, "The german Folksong Archive", **The Folklore and Folk Music Archivist,** vol. 7, no. 2 (Spring 1964).

(٣٨) لتعريف القارىء بهذه الطريقة في الفهرسة سنرفق في آخر هذا الكتاب ملحقاً (الملحق الأول) يتضمن فهرساً لأحد الأشرطة المسجلة ضمن مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية (علماً بأن الأشرطة لم يتم ترقيمها بعد) .

(٣٩) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** (تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم) . دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون تاريخ .

(٤٠) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ص : ١٣٧ - ١٤٤ .

(٤١) نفسه ، جـ ٢ ، ص ص : ٣٠٣ - ٣٤١ .

(٤٢) الشلقاني ، عبد الحميد ، **رواية اللغة** . دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

(٤٣) الحاجري ، طه . « أبو عبيدة » **الكاتب المصري** . م٢/ع ٦ - ٧ ، مارس - ابريل ١٩٤٦ ، ص ص : ٢٧٦ - ٢٨٩ ، ٤٦٣ - ٤٦٧ .

(٤٤) الحاجري ، طه . « الرواية والنقد عند أبي عبيدة » **مجلة كلية الآداب** ، الاسكندرية ، م٥ ، ١٩٤٩ ، ص : ٥٩ - ٨٢ .

(٤٥) الحموي ، ياقوت بن عبد الله . **معجم البلدان** . مطبعة السعادة ١٩٠٦ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٤٦) الحموي ، ياقوت بن عبد الله . **معجم الأدباء** . (تحقيق أحمد فريد الرفاعي) مطبوعات دار المأمون ، ١٩٣٨ ، جـ ١٦ ، ص : ٧٥ .

(٤٧) ابن سلام الجمحي ، محمد . **طبقات فحول الشعراء** . (تحقيق محمود محمد شاكر) مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، جـ ١ ، ص ص : ٤٧ - ٤٨ .

(٤٨) ص : ٧٢ - ٧٧ .

(٤٩) **معجم البلدان** . جـ ٢ ، ص : ٢٠٥ .

(٥٠) الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن . **طبقات النحوين واللغويين** . مطبعة السعادة . ١٩٥٤ ، ص : ١٩٤ .
(٥١) **معجم الأدباء** . جـ ١٣ ، ص : ١٦٩ .
(٥٢) الأنباري ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد . **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** . (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص : ٦٣ .
(٥٣) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر . **البيان والتبيين** . (تحقيق عبد السلام محمد هارون) مكتبة الخانجي بمصر . جـ ١ ، ص : ٣٢١ .
(٥٤) الشلقاني ، ص : ٨٢ .
(٥٥) **المزهر** ، جـ ١ ، ص : ١٤٠ .
(٥٦) نفسه ، جـ ٢ ، ص ص : ٣٠٧ - ٣٠٨ .
(٥٧) القالي ، أبو سعيد اسماعيل القاسم . **كتاب الأمالي** . (مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة) دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٠ ، جـ ١ ، ص ص : ١٦٩ - ١٧٠ .
(٥٨) القالي ، أبو اسماعيل القاسم . **كتاب ذيل الأمالي والنوادر** . (مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة) دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص : ١٦ .
(٥٩) الشلقاني ، ص ص : ٧٠ - ٧١ .
(٦٠) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** . ص : ٤٩ .
(٦١) القالي . **الأمالي** . جـ ١ ، ص : ٩٧ .
(٦٢) الزبيدي . **طبقات النحويين واللغويين** . ص : ٤٩ .
(٦٣) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم . **الشعر والشعراء** . (تحقيق أحمد محمد شاكر) دار المعارف بمصر ١٩٦٦ . جـ ١ ، ص : ٨٣ .

(٦٤) ابن سلام . **طبقات فحول الشعراء** . جـ ١ ، ص ٥٣ .
(٦٥) ص : ٨٤ .
(٦٦) ص : ٨٦ .
(٦٧) « أبو عبيدة » **الكاتب المصري** . م٢ /ع ٦ - ٧ ، مارس - ابريل ١٩٤٦ ، ص : ٢٨٤ .

(٦٨) المرجع السابق ، ص : ٤٦٤ .

(٦٩) الحاجري . « الرواية والنقد عند أبي عبيدة » **مجلة كلية الآداب** . الاسكندرية ، م٥ ، ١٩٤٩ ، ص : ٦٦ .

(٧٠) للمزيد من التفصيل في هذه القضية انظر :

Sowayan , Saad A . **Nabati Poetry : The Oral Poetry Of Arabia** 1985 , University Of California Press , Los Angeles .

(٧١) ابن رشيق القيرواني الأزدي ، أبو علي الحسن . **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** . (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) مطبعة السعادة . ط ٣ ، ١٩٦٣ .

(٧٢) حسان ، تمام . **الأصول** : دراسة ايبستمولوجية لأصول البكر اللغوي العربي . دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٨١ ، ص ص : ٧٨ - ١٢٠ .

(٧٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن . **المقدمة** . مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ط٣ ، ١٩٦٧ ، ص : ١١٢٦ .

الملحق الأول

فهرس أحد الأشرطة المسجلة ضمن مشروع
جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية

الراوي : مطلق بن راشد الجرد المليحي السبيعي .
تاريخ المقابلة : ٢١ شعبان ١٤٠٣ هـ .
المكان : المليحية (ضاحية من ضواحي الرياض تبعد عن الدرعية حوالي أربعين كيلواً ، وتسمى المليحية نسبة إلى زيد المليحي الذي اقتطعها ومنحها لأفراد عشيرته من مليح من قبيلة سبيع ليعمروها ويسكنوها) .
ماركة جهاز التسجيل : Sanyo M7500f

رقم العداد Digital Counter	ملخص السالفة أو مطلع القصيدة	عدد أبيات القصيدة	اسم الشاعر
	الوجه الأول Side A		
000	نبذة عن حياة الراوي .		
039	نبذة عن قبيلة سبيع وتفرعاتها وفيها قصة الشريف مع شري أبو سنينه ، وما جرى لهم مع ابن عريعر .		
083	مناخ سبيع مع مانع بن سويط عند نقيّ التنهات وقال فيها شاعر الظفير : يالاد عمروٍ يامضنّة فْوادي نوّاسة القفر الموالي لْياهيب .	٤	شاعر من الظفير
103	فرد عليه شاعر من سبيع : ياطارشٍ يَمّ الوضيحي وهادي قِلْ لِهْ خْوار الشاة ما رَوّع الذيب .	٨	شاعر من سبيع

رقم العداد Digital Counter	ملخص السالفة أو مطلع القصيدة	عدد أبيات القصيدة	اسم الشاعر
130	عودة إلى عشائر سبيع وأفخاذها .		
250	مناخ سبيع برئاسة ابن جفران من العزة مع الدواسر برئاسة ابن قُويْد وما قيل في تلك الوقعة من الأشعار :		
305	يامِلْ قلبٍ لاعِه اليوم لايع لُوعَة ضِريب العِشْب والوَبِل ما جاه .	٤	الفصّام من الدواسر
335	جينا نبي العَنْش نرعى عِشْبِته ونِحْسِب ليالينا من ليالي سعودها .	١١	ماضي الفطحي السبيعي
395	نِعِمْ بالي حاضرٍ من جماعتنا لابتي في يوم الاكوان عَيّاله	٥	ابن نعيران السبيعي
420	كان عجران بن شرفي السبيعي ومنديل بن غضّاب الخالدي نازلين في جوار قبيلة العجمان . وقرر العجمان أن يغزوا قبيلة سبيع ، فأشار عجران على منديل ألا يغزو معهم ، لكنه رفض النصيحة وغزا . وهُزم العجمان وأصاب عبد الله بن محيسن من الجمالين من سبيع منديلاً ، وفر العجمان ولم يثنوا خيلهم دون منديل . وتم الأمر على ما أراد عجران فتمثل قائلاً : يابو سعد دُوك العيون أسْهَرَنّي قلب الخطا كِنّه على كِيْر شَبّاب .	٩	عجران بن شرفي السبيعي
495	نزلت قبيلة سبيع مع ابن عريعر على الرضيمة وناوخوا العجمان مع الدواسر ومطير والسهول ، وطال المناخ بينهم . وأثناء ذلك هزأ راشد المعيضي من العجمان بأبنائه السبعة وعَيرهم بالجبن لأنه		

رقم العداد Digital Counter	ملخص السالفة أو مطلع القصيدة	عدد أبيات القصيدة	اسم الشاعر
	لم يجرح أو يقتل منهم أحد طوال المناخ . فلما سمعوا ذلك استماتوا في الهجوم من الغد فقتلوا جميعاً ، فقال أبوهم في ذلك :		
536	يا شيب عيني شِفْت شوف المَرَاعِه الجمع يَزْبِر والجِماعه يِحِلّون .	٦	راشد المعيضي العجمي
555	تسعين ليله والخَلايا مْعقَّلَه من الجوع قِدْ هِي باتَعَوَّى رْقابَها .	٧	راشد المعيضي العجمي
580	جماعة من الدواسر برئاسة وقيّان الغييثات ينهبون أباعر القفيدي من الجبور من سبيع ويقتلون ابنه . جماعة من سبيع يغزون الدواسر ويقتلون ابن وقيان . وينشأ عن ذلك سلسلة من الوقعات بينهم يلعب فيها فارس سبيع المشهور فدغوش بن شَوْيَه دوراً بارزاً .		
	الوجه الثاني Side B		
015	تكملة السالفة السابقة ، ومما قيل في ذلك :		
023	يا سابقي جتكم عزوم والعلم عند الله عزيز الشان .	٤	فدغوش بن شَوْيَه
030	يادارنا يوم زاروك الجنوبيه خَذْنا غَوَض مَنْزِلك شِيخان وافراس	٨	سعد العماني السبيعي
045	هاضل لفانا فوق نابي السنام على اشقرٍ عشب الطنف قد رعى فيه	١١	ابن مخشوش السبيعي
080	قال عجران بن شرفي السبيعي وهو شاعر أعمى حينما خال رفيقه البرق بعيداً عن ديار سبيع :		

رقم العداد Digital Counter	ملخص السالفة أو مطلع القصيدة	عدد أبيات القصيدة	اسم الشاعر
086	كـريم يـا بن فهيـد لـو قيـل كشّـاف بـارق خـريـفٍ في دْيَـارٍ مْصِـدّه .	١١	عجران بن شرفي
115	تجـادل عجـران بن شـرفي مـع راكـان بن حثيلين عـنـد عـبـد الله الـفـيـصـل فـقـال :		
155	يـابن الامـام ان ديـرتي من وراتِين وْلي لابـةٍ فـيـهـا تِـضـدّ المعـادي .	١٠	عجران بن شرفي
185	حمـد بن ناحي المطيري يمـدح الـراوي مـطلق الجـرد		
195	يـاهـل الجيب مُـرّوا عـلى السبعـان سـلمـوا لي عـلى الشـايـب الغـالي .	٨	حمد بن ناحي
215	شـاعـر من سبيـع يتـأسف عـلى فـراق جمـاعتـه :		
225	لي ضـاق صدري رِحْت انـا الصبـح داوي أشـرّف المِـرْقـاب وازعـج وِنـيـني .	١٥	؟
257	سـالفة ابن دلّي من مليـح مع ابن فيّـاض من النّبـطه ويقول فيها ابن فياض :		
266	تعـزّزوا للخفس من شٍ جـرى لـه مِـرْجع وكنّ السيـل ما طب واديـه .	١١	ابن فيّاض
308	قال الراوي استغاثة : يـا لله يـامـولاي وانت مْعَبُـودي يـا خـيّرٍ كـل المخـاليق تـرجيـه .	١٧	مطلق بن راشد الجرد
350	عْسُـوس راكان بن حثلين شيـخ العجمـان وعسـوس أبـو أثنـين شيـخ سبيـع عـلى خبـرا مَعَقْـلا ، وكـان طـاح عليهـا وسمية فتـواردوهـا العجمـان وسبيـع		

رقم العداد Digital Counter	ملخص السالفة أو مطلع القصيدة	عدد أبيات القصيدة	اسم الشاعر
390	ومع سبيع بريكان بن نافل من المدالية وحصل بينهم معركة فقال في ذلك راكان بن حثلين رداً على الشاعر العجمي جحيش الملقب بالبِطْبوطي الذي حاول أن ينال من سبيع : بني عمرو ما همب تسعين حمّار أهل مهارٍ لبّسوهن غَيارا .	٤	راكان بن حثلين
400 405	فرد عليه شاعر من سبيع اختلف الرواة ما إذا كان ابن هْديهد أو ماضي الفطحي : بني عمرو جوكم مثل لهبة النار ولا جاك منهم كود مِقْدَم شَرارا .	٧	ابن هديب/ ماضي الفطحي
428	قال الراوي يمدح عبد الله بن عبد العزيز آل سعود أوّل كلامي بادي ذِكْر الله ومن راقب الله فاز له بالطيب .	٢٢	مطلق بن راشد الجرد
478	قال الراوي ينصح ابنه ناصر : اترك عْيال اللي يِفِخْتُون الجماعة اللي على لعب الورق ساهرين	١٣	مطلق بن راشد الجرد
550	وقال رداً على إخوانه حينما انتقدوه لتخليه عن البداوة وسكناه الحضر : يالله ياللي تعلم النيّه جَزْل العطا لي عطا ماهوب مَنانِ	٦	مطلق بن راشد الجرد
590	عن مهارة الراوي مطلق الجرد في الصيد وإصابة الهدف .		

الملحق الثانى

الطلب الموجه إلى مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود لتمويل مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية

الصورة الكليـة للمشروع :

إن العناية بالمأثورات والآداب الشعبية تعد ظاهرة جيّدة تدل على مدى وعي الأمة ورقيها ونضوجها الفكري ، حيث نجد أن الدول المتحضرة قد أنشأت المعاهد والأرشيفات لجمع تراثها وتصنيفه ودراسته على أسس سليمة نتيجة ما رأته من الفائدة العلمية والقيمة الفنية لهذا التراث . وهذه الأمم المتحضرة لم تعن بتراثها فحسب ، وإنما قامت بمجهودات كبيرة لاستقصاء تراث المجتمعات الأخرى ـ لاسيما المجتمعات البدائية ومجتمعات العالم الثالث ـ ودراسته والاعتناء به ، بينما نجد أبناء هذه المجتمعات أنفسهم يعزفون عن دراسة تراثهم وآدابهم الشعبية لاعتقادهم أنها مجرد خزعبلات وخرافات لا تستحق أي عناية أو اهتمام . وهذا شيء مؤسف حقاً ، فأبناء أي شعب هم أحق من غيرهم بدراسة ما خلّفه لهم الآباء والأجداد ، وهذا الموروث هو ملكهم هم قبل غيرهم من الأمم .

وإذا كان المجتمع يمر بمرحلة تطوّر سريع وتغير مفاجىء ، كما هي الحال بالنسبة لبلدان الجزيرة والخليج العربي ، فإن جمع المأثور الشعبي أمر ملح ويتحتم علينا أن نوليه عناية خاصة لسببين :

أولاً : حتى لا تنعدم الصلة بين ماضينا وحاضرنا .

ثانياً : حتى لا يغيب حملة هذا المأثور عن مسرح الحياة ويندثر معهم ما ورثوه عن أسلافهم من ثروة أدبية .

والمشروع الذي نتقدم به هنا ليس بحثاً بقدر ما هو محاولة لسد الفراغ في هذا الصدد ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل أن تفوت الفرصة ويضيع كل شيء ، فنحن نقترح القيام بعملية جمع استقصائي ، ومسح شامل منظم للمأثور الشعبي في بلادنا . وينفذ هذا المشروع على عدة مراحل ، تستغرق كل مرحلة بضع سنين ، حتى نتمكن من مسح جميع الأجناس الأدبية الشفهية ، والفنون الأدائية الشعبية في جميع مناطق المملكة . وفي رأيي أن هذا العمل ملح لا يمكن إرجاؤه ، حيث إن التغير الجذري الذي يمر به مجتمعنا اليوم ، وما نتج عنه من تحوير في النسيج الاجتماعي والبنية الاقتصادية ، وكذلك المد الحضاري المعاصر وما صاحبه من وسائل الترفيه والإعلام والتعليم الحديثة ـ كل هذه التيارات العارمة تكاد تكتسح أدبنا الشعبي وتجرفه من أصوله وتطمسه تماماً . فالمرحلة الآن مرحلة جمع وإنقاذ . ومتى ما جمعت هذه المواد بصورة منتظمة ومكتملة فإنها ستوفر للباحثين في المستقبل المادة الأساسية والركيزة السليمة لصياغة النظريات العلمية وتأصيل مناهج البحث . نحن الآن في دور التأسيس وإرساء القواعد ويجب أن نخطو من مرحلة إلى أخرى بتسلسل منطقي علمي .

وهذه المواد التي يتم جمعها ستكون مسجلة على أشرطة صوتية وسمعية ، ومدوّنة في بطاقات تحفظ جميعها في أرشيف صوتي وتحريري ، وتصنف تصنيفاً علمياً منظّماً دقيقاً ، مما يسهل سبل استعمالها والاستفادة منها من قبل الباحثين .

المرحلة الأولى للمشروع ـ جمع الشعر النبطي :

سبق أن قلت : إن هذا المشروع الذي نتقدم به سوف يستغرق عدة سنين وسوف يتم تنفيذه على عدة مراحل ، تختص كل مرحلة بمنطقة معيّنة وجنس أدبي معيّن . وأعتقد أن أول ما يجب أن نهتم به هو الشعر الشفهي ، أو ما يسمى بالشعر النبطي (البدوي ، الشعبي) لما له من قيمة علمية ومكانة أدبية . فلو ألقينا نظرة شاملة على مجتمع الجزيرة والخليج العربي لوجدنا أن الشعر النبطي من أغنى عناصر التراث وأغزرها وأكثرها التصاقاً بواقع الحياة والمجتمع ، إذ أنه يستقي مواضيعه من حوادث التاريخ ، وقيم المجتمع ، وممارسات الناس اليومية . فهو دون بقية الآداب

الشفهية الأخرى ثروة أدبية ضخمة ، وظاهرة من ظواهر الأدب الشعبي الفريدة من نوعها التي تخص مجتمع الجزيرة دون غيره من المجتمعات الأخرى . فهو فريد في شكله ومضمونه ، كما أنه فريد في وظيفته الاجتماعية ومكانتـه الأدبية . لـذا فإن الشعر النبطي مصدر هام لا يمكن التغاضي عنه لمن يزمع القيـام بدراسـة جدّيـة ومتمعنة لجغرافية الجزيرة العربية ، وتاريخ سكانها من حاضرة وبادية ، ودراسـة أحوالهم السياسية والاجتماعية .

الهدف من جمع الشعر النبطي :

بالإضافة إلى ما ذكرناه من أن الشعر النبطي يشكل مصدراً أساسياً من مصادر دراسة الجزيرة العربية ، فإن دراسة الشعر الشفهي تحتل في الوقت الراهن مكانة مرموقة في الأوساط العلمية ، لاسيما في حقلي الأدب والفلكلور ، وذلك بعد أن نجح العالمان الأمريكيان ملمان باري Milman Parry وألبرت لورد Albert Lord في فرض نظريتهما التي سمياها : نظرية الصياغـة الشفهية The Oral Formulaic Theory وهي نظرية تعد الآن من أحدث النظريات في مجال البحث الأدبي وأكثرها رواجاً . والعلماء الغربيون الآن يتجشمون المخاطر الجسيمـة ويتكبدون الخسـائر الفادحة للقيام برحلات علمية إلى المجتمعات التي توجد فيها طبقات أمِّية تحتفظ بتراث شعري شفهي من أجل دراسته .

وحيث إنه لا تزال هنالك في مجتمعنا قلة قليلة وبقية باقية من الأميين وأشباه الأميين في الباديـة والقرى النـائية لا يـزالون يحفـظون الشعر ويلقـونه بـالطريقـة التقليدية ، فإنه يجدر بنا أن نغتنم الفرصة النادرة وأن نسارع إلى دراسة هذه الشرائح الاجتماعية التي توشك أن تزول تماماً من مسرح التاريخ الإنساني ، وتختفي إلى غير رجعة . وفيما لو أدينا واجبنا هذا على الوجه المطلوب ، فإننا سنكون قد أسهمنـا بشكل فعّال وأصيل في تطوير الدراسات الأدبية ، وإثراء البحوث الإنسانية عـلى المستوى العالمي . كما أن ذلك مما يضمن الخلود والشهرة العالمية لأدبنا الشعبي ، كغيره من الآداب الشعبية التي حظيت بنصيب وافر من الدراسة والتحليل ، مما أتاح الفرصة للمفكرين والمثقفين في جميع أنحاء العالم للتعرّف عليها وتذوقها وتقديرها .

وهدفنا من جمع الشعر النبطي هو حفظ هذا الشعر ودراسته ضمن بيئته الحضارية وإطاره الاجتماعي لاستشفاف ظواهره واستجلاء معالمه ، وظروفه وطبيعته التي تميّزه كشعر شفهي يعتمد على النقل والسماع قبل أن يكون شعراً تحريرياً يعتمد على القراءة والكتابة . وبفحص الشعر النبطي في سياقه الشفهي سنتوصل إلى فهم الخصائص التي تميّزه عن الشعر التحريري من حيث الشكل والمضمون ، ومن حيث عملية الخلق والإبداع ، ومن حيث طريقة النظم والأداء والإلقاء والارتجال والتداول والانتقال ودور الذاكرة في ذلك . ومن الأشياء التي نود أن نتفحصها أيضاً في هذا الإطار الأدائي الشفهي هو فهم العلاقة التي تربط الراوي أو الشاعر بالمستمعين ، وكذلك مدى ثبوت النص الشعري وتغيره في مجتمع أمّي يعتمد على الرواية الشفهية وكيف يتغير النص من خلال الرواية الشفهية ، وما هي العوامل التي تتحكم في هذا التغير ، وما دور البعد الزماني والمكاني في ذلك . وكل ذلك سيساعدنا على استنباط معايير نقدية تتلاءم مع الطبيعة الأدبية والوظيفة الاجتماعية والنفسية للشعر النبطي .

كذلك نصبو إلى إيجاد تصوّر كامل للمحيط الحضاري والاجتماعي والسياسي الذي نشأ فيه الشعر النبطي واستمد منه صوره وأخيلته وأغراضه . ووجود الرواة معنا خلال عملية التسجيل سيمكننا من جمع المعلومات الضرورية عن حياة الشعراء المشهورين ، وظروفهم المعيشية ، ليس فقط للتعرف على مصادر إلهامهم ، بل أيضاً للتعرف على مكانتهم الاجتماعية والدور الذي يلعبونه في تحريك الأحداث السياسية والاجتماعية . وسيتخلل تسجيل القصائد أسئلة نوجهها للرواة عن المناسبة التي قيلت فيها كل قصيدة ، وعما تتضمنه القصيدة من تلميحات وإيماءات ومفردات غريبة قد يستغلق فهمها على معظم الناس في الوقت الحاضر . فالقصائد القديمة تتكلم عن وقائع تاريخية وممارسات اجتماعية وأساليب في الحياة قد اندثرت ولم يعد يعيها جيلنا الحاضر . فجلاء هذه الغوامض ضروري لتذوّق الشعر النبطي وتقييمه من الناحية الفنية والغوص في أعماقه وتقديره حق قدره . وهكذا فإن الأشرطة التي نسجلها لن تحتوي على مجرد نصوص شعرية فقط ، بل ستتضمن أيضاً نصوصاً نثرية أحياناً قد لا تقل في قيمتها اللغوية والأدبية عن النصوص الشعرية ، كما ستتضمن معلومات قيّمة عن مجتمع الجزيرة وحضارتها وتاريخها في العصور الماضية . كما أن حفظ ذلك كله على أشرطة صوتية سوف يوفر لعلماء اللغة ودارسي اللهجات نصوصاً

حيّة ناطقة مما يسهل مهمتهم في دراسة لهجات الجزيرة العربية وعلاقتها باللهجات القديمة .

كيف تتم عملية الجمع :

هناك وسيلتان للجمع والتسجيل هما :

١ ـ استدعاء الرواة المشهورين من أبناء البادية والحاضرة لتسجيل ما لديهم من قصائد .

٢ ـ القيام برحلات ميدانية إلى البادية والقرى النائية والتي لا يزال الشعر فيها ينظم ويروى على الطريقة التقليدية للتسجيل من كبار السن وغيرهم الذين لا يستطيعون أو لا يرغبون في الحضور إلى الرياض .

وسوف تتم عملية التسجيل على أساس علمي هادف وبطريقة منهجية منظمة قائمة على أسس مدروسة تسهل الاستفادة من هذه الأشرطة وتضاعف من قيمتها العلمية . فبالإضافة إلى عملية الجمع هنالك مسائل علمية محددة تشغل بال المعنيين بالأدب الشفهي سنحاول استجلاءها ، وهنالك طرق مدروسة لاستجواب الرواة والشعراء واستدراجهم للخوض في مسائل تهم الباحثين في هذا الميدان . والأشرطة المسجلة سوف تصنف وتفهرس وتودع في أرشيف لحفظها وتيسير سبل استعمالها والاستفادة منها من قبل الباحثين . والأصول التي تسجل مباشرة من أفواه الرواة سوف تحفظ في خزانة مغلقة بعد أن تعمل منها نسخ ، وهذه النسخ هي التي ستستعمل في عملية التفريغ والدراسة .

التكاليف :

قبل إيراد قائمة بقيمة التكاليف ، أود أن أناقش موضوع الإكراميات التي سندفعها للرواة والإخباريين الذين نتقابل معهم في الميدان ، أو الذين نستضيفهم في

المتحف لتسجيل ما لديهم من أشعار وأخبار . هؤلاء الرواة سيكلفوننا مبالغ باهظة لأنهم يعرفون أن الشعر النبطي سلعة رائجة ، فقيمة الديوان المخطوط قد تصل إلى (١٠٠،٠٠٠/-) مائة ألف ريال سعودي ، وقيمة الشريط المسجل قد تصل إلى آلاف الريالات . وأعرف أن هنالك سماسرة من الكويت وقطر والسعودية يبحثون دائماً عن المخطوطات والتسجيلات لشرائها بأغلى الأثمان ، لأنهم يعرفون أنهم إذا طبعوها فإنها ستدر عليهم أرباحاً خيالية ، فدواوين الشعر النبطي عليها إقبال منقطع النظير ، وقيمة الديوان الصغير المطبوع قد تصل إلى (٣٥/-) خمسة وثلاثين ريالاً سعودياً ، رغم ما تتسم به هذه الدواوين من الأخطاء والركاكة والغثاثة وسوء الإخراج وعدم تحري الدّقة . فالعملية مجرد عملية تجارية بحتة يرجى منها الربح السريع . وهذا مما يسيء إلى أدبنا الشعبي إساءة بالغة ويفقده قيمته كركيزة أساسية من ركائز البحث العلمي الرصين وكمصدر موثوق يطمئن إليه من يود دراسة هذا اللون من ألوان الأدب الشعبي على أسس منهجية . ومهمتنا ومسؤوليتنا هي إنقاذ هذه الثروة الوطنية وانتشالها من أيدي العابثين وإبرازها بصورة تخدم العلم والمتعلمين .

بالإضافة إلى رواج دواوين الشعر النبطي في الأسواق ، فإن محطات الإذاعة والتلفزيون تدفع مبالغ كبيرة للرواة والإخباريين . فبرنامج البادية مثلاً يدفع حوالي (٢٠٠/-) مائتي ريال عن القصيدة الواحدة ، بل إن الراوية الجيد تدفع له الإذاعة (٩٠٠/-) تسعمائة ريال شهرياً على أن يسجل لها قصيدتين فقط في الشهر الواحد . وبالإضافة إلى الإغراءات المادية ، فإن الإذاعة والتلفزيون يدخل فيها أيضاً حافز الشهرة وغيرها من المزايا الإضافية التي لا نستطيع نحن توفيرها .

وبالإضافة إلى الإذاعة والتلفزيون ، فإن هنالك الكثير من الأمراء والأعيان الذين يستقطبون حولهم المبرزين من الشعراء والرواة لتزجية الوقت معهم ومصاحبتهم في رحلات الصيد ويمنحونهم جزاء ذلك العطايا والهبات الثمينة .

ولعل الجامعة نفسها لاحظت في ندوات التراث الشعبي التي أقامتها في السنوات الماضية ارتفاع المكافآت التي كانت تدفع للمشاركين في هذه الندوات .

وفي ضوء ذلك ، وأخذاً بمبدأ العدل والاعتدال ، فإنني أرى أن ندفع للراوية الجيد الذي يعتد به مبلغ (٧٠٠/-) سبعمائة ريال على كل ساعة تسجيل .

والحقيقة أنه لا ينبغي أن نقلل من الجهد الذهني والعضلي الذي يتطلبه استذكار الشعر وإنشاده لمدة ساعة ، كما أن حفظ الشعر وروايته موهبة فذّة ومهارة نادرة لا تتوفر لدى الكثير من الناس ، لذا يجب تشجيعها والمكافأة عليها كغيرها من المهارات . ومن خبرتي الشخصية ، فإنه لكي نخرج بحصيلة ساعة من التسجيل يستلزم جلسة تطول إلى ثلاث أو أربع ساعات ، حيث إن عملية التسجيل تتخللها فترات راحة واستذكار وتداول وما إلى ذلك . أي أنه لكي نحصل من الراوية على ساعة تسجيل ، فإننا نأخذ من وقته على الأقل أربع ساعات . يضاف إلى ذلك أنه يحتاج إلى يومين أو أكثر يستقطعها من وقته ويعطل أعماله للمجيء إلى الرياض والعودة إلى أهله .

والحقيقة أنه يستحيل تقدير تكاليف جمع الشعر النبطي ، وتحديد المدة بصورة دقيقة ، ولكننا سنحدد ثلاث سنوات كمدة تقريبية ، و (ـ/١٨٠٫٠٠٠) مائة وثمانون ألف ريال كميزانية تقريبية ويكون الهدف تسجيل ١٠٠ شريط فئة ساعة ونصف ، أي مجموع ١٥٠ مائة وخمسون ساعة تسجيل وتوزع الميزانية كالتالي :

أولاً : لوازم الأرشيف الصّوتي :

(ـ/٣٫٠٠٠) لشراء دولابين نوع « نيفادا » صنع إيطالي كل منهما مجهز بأربعة رفوف وبوابة زجاجية .

(ـ/١٫٠٠٠) لشراء بيوتات لأشرطة الكاسيت نوع Trirack

(٢٠٫٠٠٠) لشراءآلة نسخ أشرطة كاسيت على الطريقة السريعة .

ثانياً : أجهزة ومعدات التسجيل الميداني :

(ـ/٤٫٠٠٠) لشراء مسجلين كاسيت من النوع الجيد Automatic Reverse ويسجل على Forward و Reverse .

(-/٢٫٠٠٠)	لشراء أشرطة كاسيت .
(-/٢٫٠٠٠)	لشراء بطاريات تسجيل .
(-/١٫٠٠٠)	لشراء حقائب لحمل المسجلات والأشرطة في الميدان .

ثالثاً : تكاليف الأخباريين والرواة :

(-/١٠٥٫٠٠٠)	مكافأة بمعدل (-/١٫٠٥٠) ألف وخمسين ريالاً على الشريط الواحد أو (-/٧٠٠) سبعمائة ريال على الساعة مجموع ١٠٠ مائة شريط أو مائة وخمسون ساعة .
(-/٢٠٫٠٠٠)	إعاشة وإسكان لمن نستضيفهم من الرواة والإخباريين .
(-/١٠٫٠٠٠)	صرف تذاكر وبدل تنقلات داخل الرياض للرواة والإخباريين .

رابعاً : متفرقات

(-/٩٫٠٠٠)	بدل تنقلات وتذاكر سفر للرحلات الميدانية .
(-/٣٫٠٠٠)	مصروفات ورقية ونثريات .
(-/١٨٠٫٠٠٠)	المجمــوع

الخـــبرات السابقـــة في مجـــال
البحث العلمي في التراث الشعبي

حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة كليفورنيا (بيركلي) في يناير ١٩٨٢م وكـان موضـوع رسـالتي **Nabati Poetry: The Oral Poetry Of Arabia** وللحصول على بعض معلومات الرسالة قمت ببحث ميداني لمدة أربعة أشهر من أغسطس إلى ديسمبر ١٩٧٨م ، ولقد وقّعت عقداً مع دار النشر بجامعة كليفورنيا (لوس أنجلوس) لنشر الرسالة ، وستظهر بشكل كتاب خلال الصيف القادم . ولقد استعرضت موضوع الرسالة بشيء من التفصيل في مقالة نشرتها جريدة الجزيرة في عددها **٣٤٢٢** الصادر يوم السبت **٢١** ربيع الأول **١٤٠٢**هـ . كما نشرت أيضاً في الجريدة نفسها عدد **٣٤٩٢** الصادر يوم السبت **٢** جمادى الآخرة **١٤٠٢**هـ مقـالاً مطوّلاً عن علاقة الشعر النبطي بالشعر الجاهلي . ولقد ظهر لي بحثان في دورية علمية تصدر من ألمانيا اسمها :

Zeitschrift Fur Arabische Linguistik.

البحث الأول في العدد السابع ١٩٨٢م وعنوانه :

A Poem and Its Narrative by Rida IbnTarif as-Sammari.

والثاني في العدد الثامن ١٩٨٢م وعنوانه :

The Prosodic Relationship of Nabati Poetry to Classical Arabic-Poetry.

كما وافقت **Edebiyyat** (وهي مجلة علمية تعنى بآداب الشرق الأوسط) على نشر مقال لي بعنوان :

Composition and Transmission of the Vernacular Poetry of Pre-modern Arabia.

كما ألقيت عدّة بحوث في عدّة مؤتمرات علمية عقدت في أمريكا خلال مـدة دراستي هناك .

الملحق الثالث

المذكرات الميدانية التي دونتها خلال رحلتي إلى منطقة حائل في شهر شوال ١٤٠٤ هـ

الثلاثاء ٤ / ١٠ / ١٤٠٤ هـ :

غادرت عنيزة حوالي الساعة السابعة والنصف صباحاً ، ووصلت حائل حوالي الساعة الحادية عشرة . ذهبت رأساً إلى إمارة حائل ، وكان سمو الأمير ووكيل الإمارة لايزالان في إجازة العيد ، فقابلت مدير عام الإدارة القائم بأعمال وكيل الإمارة المساعد صالح عبد الله العضيبي الذي قابلني ببشاشة ولم يدخر وسعاً في تسهيل أموري . كما قابلت أيضاً خالد ضيف الله القبلان ، مدير عام الخدمات المحلية الذي قام مشكوراً بعد موافقة الجهات العليا في الإمارة بصرف سيارة جيب لي ، وسائق اسمه خريفيش بن منور الشمري ، ومرافق اسمه حمود العبد الله الشمري ـ الذي رشحته أنا شخصياً لمرافقتي . كما تحملت الإمارة نفقات سكني وإعاشتي في فندق الجبلين حيث سكنت في الغرفة رقم ١٠٧ ، وقد كان الأخ خالد القبلان كريماً حيث أمر بإسكاني في سويت suite بدلاً من غرفة صغيرة كي أتمكن من استقبال الضيوف من الرواة والإخباريين الذين يزورونني في الفندق .

وكنت أعرف مسبقاً أن إمارة حائل سوف تتعاون معي إلى أقصى حدود التعاون . فقد حللت ضيفاً عليهم حينما قمت بأولى رحلاتي الميدانية لجمع الشعر النبطي في العام الماضي ، ولقيت منهم فوق ما كنت أتصور من حفاوة وتكريم . ومن باب التمهيد لهذه الرحلة كنت قد اتصلت قبل مجيئي إلى حائل بأيام قليلة بالأخ خالد القبلان الذي تعرفت عليه خلال رحلتي في العام الماضي وكوّنت معه علاقة وثيقة . كذلك اتصلت بالمرافق حمود العبد الله الشمري الذي رافقني في رحلتي في العام الماضي ووافق على مرافقتي في رحلة هذا العام أيضاً ، فاتفقت معه على أن نتقابل في الإمارة يوم وصولي . وقد رغبت في مرافقة حمود هذه المرة لأنه دليل جيّد ورجل معروف عند أهالي المنطقة ، كما أنه شخص متعاون ومتفهم لطبيعة مهمتي بحكم مرافقته لي في العام الماضي .

وأثناء فترة انتظاري لإنهاء الإجراءات المتعلقة بصرف السيارة وتعميد السائق والمرافق اللذين سيصطحباني في رحلتي الميدانية جلست في مكتب خالد القبلان أتحدث معه وتقابلت مع عدد من موظفي الإمارة الذين طرحوا عليَّ أسماء العديد من الرواة والإخباريين . ومن هؤلاء الذين قابلتهم عبد الرحمن بن فريح العفنان ، مدير تنسيق وتنمية الخدمات بالإمارة الذي اقترح عليَّ مقابلة علي اللحيدان من بني تميم ومن سكان وسيطاء الحفن وهو ابن ناصر اللحيدان ـ رحمه الله ـ أمير الوسيطاء المشهور بالكرم ، وعبد الرحمن العفنان شاب مثقف وواسع الاطلاع يحمل شهادة جامعية في التاريخ ويحفظ الكثير من الشعر النبطي ، وقد سعدت بالتعرف عليه في رحلتي إلى حائل في العام الماضي ، حيث دعاني إلى بيته ، وسجلت منه ، ومن أبيه ، ومن محمد العبد الله العواد بعض الأشعار والأخبار المتعلقة بمدينة السبعان وبحمولة المفيد الذين منهم عائلة العفنان أمراء السبعان سابقاً .

وفي مكتب خالد القبلان تقابلت أيضاً مع عبد العزيز البدران ، رئيس قسم النسخ بالإمارة ، وهو من أهالي موقق ، وذكر لي بعض الرواة من أهالي موقق ، مثل : حمود بن خرينق الذي ورث عن أبيه أشعار عيادة بن منيس ، وفهيد بن فرج الغيثي (ولقبه الحبك) الذي يسكن بيتاً من الشعر عند ضلع جرغ القريب من موقق . وقابلت أيضاً شفاقة بن مريزيق الشمري من أهالي أم القلبان الذي اقترح عليّ مقابلة حمد بن الحميدي بن مغيلث الذي يسكن بيتاً من الشعر بالقرب من أم القلبان . ومن الأسماء التي اقترحها خالد القبلان : حيا بن عبطان الرشيدي الذي يسكن حائل ، وأربعة رواة من قبيلة حرب يسكنون مركز البعايث ، هم : محمد الحداري ، وسالم بن رباح بن مطلق ، وخلف بن عايد بن ضلعان ، وسعد بن صامل الحربي . ولكثرة أسماء الرواة والإخباريين الذين تردني أسماؤهم فقد اتخذت خطوة تنظيمية بسيطة لكنها مهمة وهي تخصيص بطاقة صغيرة لكل راوية يكتب عليها اسمه وعنوانه وهاتفه (إن وجِد) وطريقة الاتصال به ونوع المادة التي يجيدها واسم الشخص الذي ذكره لي وأي معلومات أخرى تتوفر عنه . وتحفظ هذه البطاقات مجتمعة ومرتبة هجائياً .

لم تستغرق إجراءات صرف السيارة وتعميد السائق والمرافق لي من الإمارة أكثر من ساعة . ذهبت بعد ذلك مباشرة إلى الفندق ، واتصلت هاتفياً ببعض المعارف

والأصدقاء بمدينة حائل للسلام عليهم ، فوجدت نزال بن صقر ، وسليمان بن مشيط ، لكنني لم أجد سعيّد بن فهيْد الدوخي .

وفي رحلتي إلى حائل في العام الماضي كنت قد تعرفت على شيحان بن ربيعة وقبل مجيئي هذه المرة كلمته هاتفياً وطلبت منه الاتصال بابن عمه حمود بن عمران ليرتبا لي لقاء مع طليحان العميم الذي سمعت أنه راوية جيّد . وحينما وصلت إلى الفندق كلمت شيحان في بيته فوجدته وقال بأنه كان يترقب وصولي ووعدني بأنه سيحضر إلى الفندق لمقابلتي بعد قليل . وفعلاً جاء في الساعة الخامسة وذهبنا إلى بيته وقابلت أخويه عبد الكريم ومحمد وقد غمروني بلطفهم وكرمهم وشعرت معهم بارتياح تام .

وفي هذا اليوم كان حمود بن عمران موجوداً في حائل يترقب مجيئي . وحمود من الإخباريين الجيّدين وقد سجلت منه عدة أشرطة ولي به علاقة وثيقة . وفي لقائي الأخير معه في الرياض عبَّرت له عن رغبتي في إجراء مقابلة مع طليحان العميم الذي قيل لي إنه يحفظ الكثير من الأخبار والأشعار فوعدني خيراً وقال بأنه سيبحث الموضوع مع طليحان ويحاول إقناعه . وقد حاولت مقابلة طليحان في العام الماضي حينما زرت خلف الهربيد في قرية الخِبَّة ولكنني لم أتمكن من ذلك . وطليحان بدوي صرف وكبير السن ومنطوٍ على نفسه ويتحاشى مقابلة أهل المدن لأنه لا يجيد التعامل معهم ، وهذه بعض الأسباب التي حالت دون لقائي معه في السابق . لذلك لجأت إلى الأشخاص الذين أعرفهم من قبيلته ، قبيلة السويد ، مثل : شيحان بن ربيعة ، وحمود بن عمران ، وخلف الهربيد ، ورومي الهربيد ، علَّهم يستطيعون التأثير عليه وإقناعه بمقابلتي .

وبينما كنا جالسين في بيت شيحان بن ربيعة حضر حمود بن عمران وكذلك سائق الإمارة خريفيش والمرافق حمود فاستقللنا سيارات الجيب وذهبنا إلى بيت حمود بن عمران الذي يبعد عن حائل حوالي ثمانين كيلومتراً ويقع وسط النفود بين قرى الحُفَيْر وطويّة وموقق في مكان يقال له : جرعا ظهر الخشب بالقرب من جبيلات تسمى : الخشب ، وجبل صغير يسمى : ساق . أدينا صلاة المغرب وراء الحفير ، وكان الطريق من حائل إلى الحفير معبداً ، أما من الحفير إلى بيت حمود فليس هناك طريق واضح ، وكان علينا أن نمر وسط كثبان رملية رخوة تكسوها الشجيرات تصعد أحياناً

وتهبط أحياناً أخرى . وكان سائق الإمارة خريفيش لا يعرف الطرق وغير خبير في قيادة السيارة وسط النفود ، وقد ساعدنا وجود شيحان معنا الذي يعرف المنطقة شبراً شبراً ويجيد القيادة في الرمال .

وصلنا إلى بيت حمود بن عمران بعد صلاة العشاء ووجدنا ابنه قد ذبح لنا ذبيحة لعشائنا ، وسهرنا حتى بعد منتصف الليل ، وحينما جاء وقت النوم أخذ كل منا فراشه وتنحى بضعة أمتار عن البيت ، وكم كان جميلاً أن يستلقي الإنسان في هذا المكان الهادىء البعيد عن ضوضاء المدينة وينظر إلى السماء الزرقاء الصافية المليئة بالنجوم ، وكان النوم في النفود اللين مريحاً جداً ، لكن الجو يصير بارداً آخر الليل .

الأربعاء ٥/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا الساعة الرابعة والنصف لأداء صلاة الفجر ، ثم صفّرنا حتى الساعة السادسة ، ثم قمنا وتناولنا القهوة وطعام الإفطار ؛ بعد ذلك استقللنا السيارة واتجهنا إلى طليحان في نفود السّطِيْحة قرب جُبّة ، وجاء معنا حمود بن عمران . وكان طريقنا على طُوَيّة وهي قرية صغيرة . وكان الطريق من حمود إلى طليحان وسط الكثبان الرملية ، وقد تبينت لنا مهارة شيحان في قيادة السيارة ومعرفة الطريق وسط هذه الصحراء التي تتشابه معالمها . وقد اضطررنا إلى التوقف عدة مرات لتخفيف هواء عجلات السيارة لنتحاشى التغريز . والسفر في النفود متعب جداً ، فالسائق لا يستطيع التحكم جيّداً في السيارة التي تعلو وتهبط وتترنح يمنة ويسرة ، لذا فالراكب لا يستقر في مقعده ، وبعد مدة يبدأ يحس بآلام في ظهره وجنبيه .

لم نكن نعرف بالتحديد مكان طليحان فهو بدويّ لا يستقر في مكان معيّن لمدة طويلة . وبالقرب من طويّة شاهدنا بيوتاً من الشعر واتجهنا نحوهم وسألناهم عن طليحان فلم يعرفوا مكانه . وبعد أن توقفنا وسألنا عدة مرات عثرنا عليه في النهاية في مكان وسط النفود يقال له : السطيحة بالقرب من جبّة ، ووصلناه حوالي الساعة العاشرة والنصف .

لم يكن طليحان يتوقع مجيئنا إليه وكان مرتبكاً بعض الشيء في البداية ، لكننا شرحنا له أنا وشيحان وحمود طبيعة المهمة التي جئنا إليه من أجلها . وتردد في البداية وحاول الاعتذار ، لكننا استطعنا أن نقنعه بالتعاون معنا ، وأخيراً وافق على

التسجيل . لكنه في أثناء التسجيل كان مرتبكاً بعض الشيء وكثير النسيان ، حيث لم يكن مهيأ نفسياً وذهنياً لمقابلتنا ، لكن وجود شيحان وحمود بن عمران معنا ساعد كثيراً لأنهما يعرفان حصيلته من القصص والقصائد وكانا يذكرانه بها . وسجلنا منه شريطين (ثلاث ساعات) . وبوجه عام ، كان مستوى أدائه وحصيلته دون ما كنت أؤمل . وأعتقد أن سبب ذلك يعود في المقام الأول إلى عدم معرفته بالتحديد ما هي الأشياء التي تصلح لنا والأشياء التي لا تصلح ، بالإضافة إلى أنني كنت مستعجلا والوقت الذي خصصته لمقابلته كان ضيقاً . ولا شك أنني لو أمضيت معه وقتاً أطول لكانت حصيلتي منه أجود ، حيث إن ذلك سيتيح لي الفرصة للتعرف على ما عنده ، كما أنه هو بدوره سيألفني ويتعرف بالتحديد على الأشياء التي أبحث عنها .

في أثناء التسجيل تغيب أحد أبناء طليحان ليذبح ذبيحة لغدائنا ، وحينما انتهينا كان الغداء جاهزاً فتغدينا . من أصعب المشاكل التي لم أجـد لها حـلاً ، وأحرج المواقف التي تواجهني في أثناء رحلاتي الميدانية هو أنه حينما يحل وقت العشاء أو الغداء ونحن في بيت أحد الرواة نسجل منه فإنه مهما كانت إمكاناته المادية محدودة سيذبح لنا ذبيحة أو ذبيحتين ، علماً بأنني أصر من البداية على المضيف ألا يفعل ذلك . ومهما اتخذت من احتياطات لمنع ذلك فإنها في الغالب الأعم لا تفيد . وهذا يعود في المقام الأول إلى كرم أهالي حائل وأريحيتهم . كما أن وجود السيارة التي عليها شعار الإمارة وكذلك المرافق الذي يرتدي شعار الإمارة يعطي مهمتي طابعاً رسمياً بالنسبة للأهالي ويعتقد الكثيرون منهم أنني مبعوث من قبل الحكومة . ورغم محاولاتي الكثيرة فقد فشلت في تصحيح هذا التصور الخاطىء ، فهم يجهلون طبيعة البحث العلمي ، ولا يعرفون شيئاً عن الجامعة ، ولا نظام الحكومة وعلاقة الجهـات الحكوميـة بعضها ببعضها الآخر ويعتقدون أن الملك أو الأمير هو الذي بعثني شخصياً في هذه المهمة ، وقد سمعت أكثر من واحد يدعوني مندوب ابن سعود .

كنا ننوي الذهاب إلى جبّة بعد الانتهاء من طليحان للسلام على الأمـير عبد الله بن غالب ومبارك العبيكة وأهالي جبّة الذين كنت قد زرتهم في العام الماضي . وأثناء وجودنا عند طليحان جاء أحد جيرانه ليدعوه ويدعونا معه إلى وليمة كان أعدها مسبقاً ، فاعتذرنا له ، وقلنا له : إننا ذاهبون للسلام على أهالي جبّة ، فقال لنا : إنه دعا أهالي جبّة وإنهم سيحضرون لوليمته . ولكننا لم نكن متأكدين من حضور الأمير عبد الله بن غالب ومبارك العبيكة فكررنا اعتذارنا له وغادرنا إلى جبّة بعد الغداء عند

طليحان . وكنا ننوي فقط السلام على أهل جبّة ثم نواصل السفر إلى حائل في اليوم نفسه . ذهبنا أولاً للسلام على الأمير عبد الله بن غالب فوجدناه يتهيأ للذهاب إلى وليمة الرجل المذكور وهو قريبه . لكن الأمير مع ذلك أصر على أن يكون عشاؤنا عنده ، ولم نجد بدًّا من تلبية الدعوة واتفقنا أن يذهب هو إلى وليمة قريبه ويبقى ابنه نواف ليباشر عشاءنا .

ذهبنا بعد ذلك للسلام على مبارك العبيكة وجلسنا عنده حتى حان وقت عشائنا عند الأمير بعد صلاة العشاء ، وأصر مبارك على أن يكون غداؤنا عنده غداً . وأثناء جلوسنا عند مبارك العبيكة دعانا أحد أهالي جبّة لتناول القهوة عنده بعد عشائنا عند الأمير ، ووعدنا بإحضار محمد السليمان الفهيد أحد رواة جبّة لنسجل منه بعض القصص والقصائد .

حينما ذهبنا إلى منزل الأمير وجدناه قد عاد توّاً من وليمة قريبه ، وقال لنا بأنه قابل طليحان هناك وأنه ـ أي طليحان ـ كان فخوراً لا تسعه الدنيا من الفرحة بلقائنا معه وذكر للأمير بشيء من الأسف أنه كان مرتبكاً أثناء وجودنا عنده ، وأنه تذكر الكثير من الأشياء بعد مغادرتنا . وكان هذا خبراً ساراً بالنسبة لي لأنني حريص على أن يذكرنا الجميع بالخير دائماً وأن يكون انطباع الناس عنّا حسناً .

وفي أثناء جلوسنا عند الأمير جاء محمد السليمان الفهيد الذي عرف أننا نريد أن نسجل منه ليعتذر لنا ويطلب منا تأجيل التسجيل حتى صباح الغد ، حيث انه مرهق لأنه عاد توّاً مع الأمير من وليمة قريبهم ، فاتفقت معه أن نتقابل في منزل مبارك العبيكة غداً في الصباح . كذلك بينما كنا جالسين عند الأمير جلس بجانبي حمود بن عمران الذي قال لي : إنه لا يستطيع المكوث في جبّة حتى ظهر الغد ، وانه لا بد أن يغادر في الصباح ليذهب إلى حائل ويبحث عن سيارة توصله من حائل إلى بيته في النفود ليستعد للذهاب إلى هجرة دُلَيْهان يوم الجمعة لأنه هو إمام المسجد الجامع هناك ولا يستطيع أن يتخلى عن الصلاة بالجماعة . وحيث إن الطرق من جبّه إلى حائل ومن حائل إلى بيت حمود بالنفود ومن هناك إلى دليهان غير معبدة فإنه لا بد له أن يبدأ المسيرة من جبّة صباح الغد ليتأكد من أنه سيصل إلى دليهان في الوقت المناسب لإقامة صلاة الجمعة . وقد سبب لي هذا الموقف بعض الإحراج ، حيث إنني لا أرضى أن يتضايق حمود بن عمران أو أيًّا من رفاقي في الرحلة ، لكن في الوقت

نفسه يصعب عليَّ الاعتذار من مبارك العبيكة الذي أعطيته وعداً بأننا سنتغدى عنده غداً لأنني أعرف أن ذلك سيحز في نفسه وأنه لن يقبل عذري بسهولة . واقترحت أن يذهب السائق إلى حائل ليوصل حمود إلى هناك ثم يعود إلينا في جبّة صباح الغد . لكن هذا الاقتراح لم يقابل بالاستحسان من بقية الرفاق . وبعد التداول قررنا أن الحل الأنسب هو الاعتذار من مبارك .

بعد أن تناولنا العشاء عند الأمير ذهبنا إلى الشخص الذي دعانا للقهوة ووجدنا مبارك العبيكة هناك وأخبرناه بعدم استطاعتنا تناول الغداء عنده غداً . وبعد أن رأى إصرارنا قبل عذرنا على مضض وقلنا له بأنه بدل الغداء سيكون فطورنا عنده في الصباح . وبعد منتصف الليل ذهبنا لننام في نفود جبّة الذي يتميز بنظافته وهوائه النقيّ .

الخميس ٦/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا مع أذان الفجر ، وصلينا صلاة الفجر ، ثم صفَّرنا حتى شروق الشمس . ذهبنا إلى قهوة مبارك العبيكة فوجدناه قد أعد لنا القهوة والشاي وخبز الصاج اللذيذ . ووجدنا في انتظارنا محمد السليمان الفهيد وأخاه حمود وصويلح بن دبيان ، وجميعهم من الرواة الذين أخذت عنهم في زيارتي إلى جبّة في العام الماضي . وقد رغبت في مقابلتهم هذه المرة لعلِّي أحصل منهم على بعض القصائد والقصص التي لم أسجلها منهم من قبل والتي تتعلق بحياة مصيخ بن فرحان وخلاف أهالي جبّة وحربهم مع ابن ثنيان ومع جارد بن رمال ، لكنهم أنكروا معرفتهم بهذه الحوادث لأنهم لا يرغبون في إثارة هذه القضايا التي عفا عليها الزمن لما ينتج عن ذلك من إثارة للضغائن والإحن . وقد همّ صويلح بن دبيان أن يروي لنا طرفاً من الأخبار والأشعار التي تتعلق بتلك الحوادث لكن مبارك العبيكة صدّه عن ذلك ، علماً بأن هذه الأشياء هي التي نبحث عنها وهي لا تقدر بثمن من حيث قيمتها التاريخية والأدبية . وهذه من المصاعب التي تواجهنا في مشروع جمع الشعر النبطي ، فالكثير من الرواة يترددون في الإدلاء بما لديهم من أشعار وأخبار تتحدث عن الحروب والفتن القديمة ، إما بدافع ذاتي من الرواة أنفسهم أو نتيجة للضغوط التي تمارس عليهم من قبل الآخرين . والسبب الأول في هذا الإعراض يعود إلى أنهم يخافون من إذاعة هذه القصائد في الإذاعة والتلفزيون أو نشرها في الصحف أو تداولها في أشرطة مسجلة أو

طبعها في دواوين وانتشارها بين الناس لأن هذا مصير معظم القصائد التي تجمع من الرواة . ولا شك أن بعض القصص والقصائد لو انتشرت بطريقة من هذه الطرق سوف تحدث حزازات لدى بعض الناس وسيكون لها أثر سيىء على الراوي وعلى الأشخاص الذين يرد ذكرهم في القصة أو القصيدة . وعلى الرغم من تأكيدنا على أن ما نجمعه ليس للنشر والتداول فإن الكثير من الناس لا يستطيعون أن يتصوروا بأن هناك من يهتم بالأدب الشعبي غير وسائل الإعلام .

وعلى كل فقد سجلت هذا الصباح شريطاً من محمد السليمان الفهيد يحتوي على بعض القصص والقصائد التي سجلها لنا في العام الماضي ، وذلك من أجل المقارنة ولنعرف ما إذا كان هناك اختلاف في الرواية بين هذه السنة والسنة الماضية .

بعد أن أنهيت التسجيل مع محمد السليمان الفهيد غادرنا جبّة إلى حائل ومررنا في طريقنا بقرية قنا للسلام على الأمير عوّاد بن عبيكة وعمه عبد الكريم . ويفصل النفود جبّة عن قنا وتبلغ المسافة بينهما ستين كيلومتراً والطريق بينهما ممهد لكن التمهيد سيىء للغاية . وصلنا قنا قبيل صلاة الظهر ووجدنا الأمير عواد الذي أصر على أن نتناول الغداء معهم عند أحد أهالي قنا واسمه غازي الذي كان قد أعد وليمة لأهل القرية . واتفقنا على أن يكون غداؤنا في قنا لكننا استأذنا الأمير في الذهاب إلى أم القلبان ، وهي قرية صغيرة تقع بجوار قنا ، وذلك للسلام على مطلق القفيعي إمام القرية والذي ذكر لي حمود بن عمران أنه من الرواة الجيدين . كما أنني أيضاً رغبت في الذهاب إلى أم القلبان لعلني أجد من يدلني على حمد بن الحميدي بن مغيلث وغانم بن جميعان بن غنيم بن رخام اللذين ذكر لي أنهما من الرواة الجيدين .

وجدنا مطلق القفيعي في أم القلبان فاستقبلنا أحسن استقبال . ولم أكن أنا أعرفه لكنه هو عرفني ، حيث إن ابنه يدرس في جامعة الملك سعود سبق أن اتصل بي عن طريق مطلق العبيكة بالرياض لمساعدته في بعض الإجراءات التي تتعلق بوضعه في الجامعة . وبعد أن تناولنا القهوة عند مطلق القفيعي دعانا أيضاً عواد بن مكيمل للقهوة . وشرحنا لمطلق هدفنا من الزيارة وقال لنا بأن ابن مغيلث ينزل بعيداً عن أم القلبان لكنه يحضر إليها كل جمعة لأداء الصلاة مع الجماعة . فسألناه إذا كان بإمكاننا الحضور يوم الجمعة ظهراً لمقابلته ، فقال بأن الوقت قد لا يكون مناسباً ، حيث إنه ـ أي ابن مغيلث ـ يذهب بعد الصلاة للسلام على أقاربه وقضاء حاجاته الخاصة .

فعدنا وسألنا مطلق أيّ الأوقات أنسب للحضور بعد العصر أم بعد المغرب ، فلم نحصل منه على جواب محدد ، ويبدو أنه بطبيعته شخص متردد لا يستطيع البت في الأمور . وغادرنا أم القلبان بعد أن أعطينا (مطلق) موعداً بأن عشاءنا سيكون عنده غداً لكننا لم نحدد موعداً للحضور .

عدنا إلى قنا وتناولنا الغداء مع أهل القرية عند غازي ثم ودعناهم وذهبنا إلى حائل ووصلنا هناك عصراً . ذهب السائق والمرافق كل إلى بيته وقام شيحان بتوصيل حمود بن عمران إلى بيته بالنفود . أما أنا فقد استقللت سيارة الجامعة التي جئت عليها من الرياض وذهبت للسلام على الأمير مطلق بن هتاش بن رمال والأمير طلال بن غضبان بن رمال في قرية القاعد ، فوجدت عرب مطلق في مضاربهم لكنني لم أجد مطلق ، أما طلال فلم أجد أحداً في بيته . عدت بعد ذلك إلى حائل وأمضيت مساء الخميس في الفندق وكلمت سعيد بن فهيد الدوخي للسلام عليه فوجدته واتفقنا على أن نتقابل يوم السبت .

الجمعة ٧/١٠/١٤٠٤ هـ :

أمضيت البارحة واليوم في غرفتي وتبين لي تردي مستوى فندق الجبلين . يبدو أن الإمارة ابتداء من هذه السنة رأت أنْ تسكن ضيوفها في فندق الجبلين بدلاً من فندق حائل وذلك زيادة في الإكرام . وفندق الجبلين فندق حديث البناء ويقع في منطقة جميلة خارج المدينة . أما فندق حائل (البيّوضي) فهو عتيق البناء إلى حد ما ويقع في منطقة مزدحمة وسط المدينة ، لكنه فندق مريح وخدمته جيدة مقارنة بفندق الجبلين . الشيء المؤسف حقاً والذي قد لا تعرف عنه الإمارة أن فندق الجبلين على الرغم من بنائه الحديث يعاني من سوء الإدارة وتدني مستوى الخدمة . وتتميز غرفه برائحتها الكريهة وكثرة الصراصير ، والأسرَّة صغيرة ومطارحها لينة جداً . أما الخدمة الهاتفية فهي مصدر إزعاج لا مصدر راحة . كما أن نوعية الأكل رديئة . ويبدو أن الإدارة والعاملين في الفندق لا يعرفون شيئاً عن أصول الخدمة الفندقية . وقد حز ذلك في نفسي لأن حائل مدينة جميلة ، أهلها طيبون وكرماء ، لكن فندق الجبلين ، وهو الواجهة التي تستقبل ضيوف المدينة ، يعطي صورة غير مشرفة عن المدينة وأهلها . وتبذل إمارة المدينة بذلاً سخياً لإكرام ضيوفها ، لكن هذا البذل لا يقابل بالحد الأدنى من التعامل اللطيف والخدمة المريحة من قبل الفندق .

جاءني السائق والمرافق في الفندق بعد صلاة العصر لنذهب إلى أم القلبان ، حسب موعدنا مع مطلق القفيعي . وفي طريقنا إلى أم القلبان توقفنا في شعيب شوط للسلام على راضي بن غريب الشلاقي الذي كنت قد سجلت منه في العام الماضي بعض الأخبار والأشعار التي تتعلق بحياة أبيه غريب الشلاقي . حينما وصلنا بيت راضي وجدناه يقلب بين يديه كتاباً غث المحتوى رديء الطباعة نُشر في الهند عن أبيه غريب وقد كتبه شخص من الجربان أنسيت اسمه ، وكان راضي مستاء جداً من الكتاب . بعد أن جلسنا مع راضي بعض الوقت ذهبنا إلى الحفير لنبحث عن شحَّاد بن سلمان بن رحيّل بن ثنيّان . وقد قابلت شحَّاداً في العام الماضي ، وهو شيخ كبير عرفت منه أنه كان قد جلا إلى العراق بعد سقوط حائل وشارك في عدد من الغزوات التي شنتها شمر الجزيرة ضد الإخوان ، ثم عاد إلى حائل منذ حوالي خمس عشرة سنة . وحيث إنني لم أتمكن من التسجيل منه في العام الماضي فقد رغبت في مقابلته والتسجيل منه هذه المرة . ووجدناه في الحفير وأخذنا منه موعداً لمقابلته غداً في الصباح .

اتجهنا من الحفير إلى أم القلبان ووصلنا بيت مطلق القفيعي قبيل صلاة المغرب ، ووجدناه لوحده ، وقال لنا بأن حمد بن الحميدي بن مغيلث وأناساً آخرين كانوا ينتظروننا منذ صلاة العصر ، ولما تأخرنا انفضوا وذهب كل في شأنه . وأظهرت عدم المبالاة لكنني في الواقع كنت مغتاظاً من مطلق الذي فوّت علينا فرصة مقابلة ابن مغيلث بسبب تردده بالأمس وعدم تحديده موعداً معيناً لنا . على كل ، جلسنا عند مطلق بينما بعث أناساً للبحث عن ابن مغيلث وعن غانم بن جميعان فلم يجدوا ابن مغيلث ووجدوا ابن جميعان الذي صلى معنا العشاء وبعد الصلاة سجلت منه نتفاً من الأخبار والأشعار . أما مطلق القفيعي الذي قال عنه حمود بن عمران إنه راوية جيد فلم نحصل منه تلك الليلة إلا على شيء يسير جداً . بعد ذلك قدّم لنا مطلق عشاءاً فاخراً ثم استقللنا سيارتنا وعدنا إلى حائل .

السبت ٨/١٠/١٤٠٤هـ :

جاءني السائق والمرافق في الفندق الساعة التاسعة صباحاً وذهبنا إلى الحفير لمقابلة شحّاد بن ثنيّان حسب موعده لنا بالأمس . وصلنا الحفير الساعة العاشرة ووجدنا شحّاد في منزله ينتظرنا وعنده شلاش بن نازل بن ثنيّان وقد سررت بوجود شلاش مع

شحّاد لأنني حينما قمت برحلة ميدانية إلى الجوف في العام الماضي ذكر لي أحد الرواة هناك أن شلاش الذي يسكن مدينة الرياض من رواة شمر الجيدين . وكان شلاش قد حضر من الرياض إلى الحفير بمناسبة العيد . وبعد مناقشة شحّاد وشلاش اتضح لي أن شحّاداً لم يكن كما توقعت فهو ليس متحدثاً جيداً ولا يحفظ شيئاً من الشعر . أما شلاش فلم يكن متعاوناً ويبدو أن معرفته ليست على قدر ادعائه . وكانت حصيلتي من الاثنين شريطاً واحداً مادته غير جيدة .

رجعنا إلى حائل الساعة الواحدة ظهراً وذهبت للسلام على سمو الأمير مقرن ووكيل الإمارة مقبل المحمد المقبل . عدت إلى الفندق ، وبعد أن تناولت الغداء هناك خرجت حوالي الساعة الثالثة ظهراً وذهبت بمفردي إلى الخطّة التي تبعد عن حائل حوالي ثلاثين كيلومتراً للبحث عن شخص يدعى فهد الرشيد من الرمال ذكر لي أنه راوية جيد . وصلت الخطّة قبيل أذان العصر ووجدت فلاحة فهّاد الرشيد أخا فهد وجلست عنده ، وبعد صلاة العصر جاء فهد لكنه رفض التعاون معي مدعياً أنه لا يعرف شيئاً وأنه انصرف عن الشعر إلى قراءة القرآن .

عدت إلى حائل وذهبت إلى حارة عمّار في حي المطار القديم بالقرب من الفندق الذي أسكن فيه للبحث عن حيا بن عبطان الرشيدي الذي أعطاني اسمه خالد القبلان وقال إنه قد يستطيع مساعدتي في التعرف على رواة بني رشيد . أثناء بحثي عن بيت ابن عبطان قابلت زيد المرزوق وهو شخص يعمل في إمارة حائل وكنت قد قابلته حينما ذهبت للسلام على سمو الأمير مقرن فتعرفت عليه وسألته عن بيت حيا فتكرم بالذهاب معي ودلني على البيت وزكاني عند حيا . ووجدت في بيت حيا بعض أفراد قبيلة بني رشيد الذين رحّبوا بي وتحمسوا لفكرة جمع الأخبار والأشعار التي تتعلق بقبيلتهم . وكنت قد بدأت أحس بالسأم وتسرب إلى نفسي شيء من اليأس لأنني حتى الآن لم أوفق في مهمتي بالقدر المطلوب . لكن حماس بني رشيد شجعني وبعث في نفسي الأمل . وقالوا بأنهم سيذهبون يوم الخميس إلى ديار بني رشيد التي تبعد عن حائل حوالي مائة وخمسين كيلومتراً لحضور زواج ابنة أحد أمرائهم الأديهم بن ناهس بن براك على ابن أميرهم الآخر ابن غلاب . وقالوا بأن الكثير من أمراء القبيلة وشيوخها وشعرائها سيحضرون الزواج واقترحوا عليّ مرافقتهم إلى هناك . فرحبت بهذه الفكرة وقلت لهم بأنني سأحاول حضور الزواج وتعهد حيا بأنه سوف يبحث لي عن رواة أكفاء من قبيلته .

رجعت إلى الفندق وبعد صلاة المغرب زارني سعيّد بن فهيد الدوخي وتحدثنا بعض الوقت . وكان هناك شخص كبير السن من الأسلم اسمه علي بن مصيخ سمعت من أكثر من مصدر أنه راوية ممتاز . وقد حاولت في السابق الاتصال به وحمله على التعاون معنا ، لكنني لم أوفق . وقد بذلت جهوداً مكثفة هذه المرة للاتصال به وإقناعه بأن يسجل لنا بعض ما عنده من أشعار وأخبار . وطلبت من خالد القبلان أن يحاول إقناعه . وحينما زارني سعيّد هذه المرة بحثت الموضوع معه بصفته من القبيلة نفسها التي منها علي بن مصيخ ، وبصفته يعرفه جيداً وأكدت على سعيد أن يوضح له قدر المكافأة التي يمكن أن يحصل عليها لو وافق على التسجيل لعل ذلك يدفعه إلى القبول .

بعد صلاة العشاء ذهبت إلى بيت شيحان بن ربيعة فوجدت عنده جمعاً غفيراً من قبيلة شمر من بينهم درزي بن عردان أمير الحفير وغانم الجنفاوي وعايد الربوض وكلاهما من شعراء شمر الذين لهم مساهمات في النقائض الشعرية التي حصلت مؤخراً بين شمر وعنزة . والنجم البارز في هذه النقائض الشعرية هو عبيد الله بن سالم الشمروخي الذي لم يحضر تلك الليلة علماً بأن الجميع كانوا يترقبون حضوره . واتصل شيحان هاتفياً بمنزل مطلق بن عبيكة بالرياض ، فوجد عبيد الله هناك فألح عليه بالمجيء لحضور حفل كبير أعدوه غداً للشعراء . وكان هناك ترتيب سابق على أن يجتمع الشعراء وأناس آخرون من شمر ويقضون يوم الأحد عند مسند بن حنيظل وحمود بن عمران في النفود . وحيث إن طريقهم على الحفير فقد دعاهم درزي للتوقف عنده لتناول القهوة وحليب الخلفات .

الأحد ١٤٠٤/١٠/٩ هـ :

في الساعة السابعة والنصف حضر عندي المرافق والسائق وتوجهنا إلى بيت شيحان بن ربيعة الذي رافقنا إلى جرعا شبيكان وسط النفود لحضور الوليمة التي أقامها مسند بن حنيظل على شرف شعراء شمر . وصلنا إلى بيت مضيفنا وهو بيت كبير شيّد على خمسة أعمدة ووجدنا هناك ما لا يقل عن مائتين وخمسين رجلاً وأكثر من أربعين سيارة جيب صفت بطريقة استعراضية وجميع الذين يقطنون النفود يستخدمون سيارات الجيب لأنها أنسب وسيلة للمواصلات في الطرق الرملية . وحين وصولنا أطلق مضيفنا عدة طلقات نارية في الهواء احتفاء بقدومنا . وكان بعض الفتيان الموجودين متمنطقين بالمسدسات والأحزمة المليئة بالأعيرة النارية .

كان الضيوف من الكثرة بحيث كوّنوا دائرة كبيرة وجلس بعضهم في صفوف وحلقات صغيرة داخل الدائرة الكبيرة . وقد كان مجلساً عامـراً بالأنس والأخبـار والأشعار . ولاحظت أن المتكلم أو القاص أو الشاعر حينما يريد أن يتكلم في هذا الجمع الكبير فإنه يتكلم بصوت مرتفع حتى يسمعه الجميع وكأنه يخطب في حشد جماهيري . وأعتقد أن أداء الشعر وإلقاء القصائد في الزمن السابق كان يتم بهذه الصـورة . وقد انتهـزت الفرصـة وسجلت بعض الإفادات من غـانم الجنفـاوي وسالم بن فلاج بن طوعان السويدي . وبعد صلاة الظهر قدّم لنا غداؤنا وهو عبارة عن ثماني ذبائح قدمت في جفان كبار تسمى الواحدة منها : صينية أم وكر .

بعد صلاة العصر انطلقنا من بيت مسند إلى بيت حمود بن عمران الذي وصلناه مع غروب الشمس . ووجدنا أن الشاعر عبيد الله بن سالم الذي كان الجميع يترقب حضوره قد وصل واستقبله الجميع استقبال الأبطال لأنه خرج توًّا من السجن بعد أن توسط له درزي بن عردان . وكان قد سجنه الأمير عبد الرحمن السديري في سكاكا لأنه قال قصيدة يهجو فيها بعض أفراد قبيلة الرولة وذلك ضمن النقائض الشعرية الجارية بين شمر وعنزة . وعبيد الله شاب وسيم في مقتبل العمر يبدو عليه السمت والرزانة . وقرأ على الجالسين بعضاً من شعره وتحـدثت معه وأبـديت له إعجـابي بجمال خطه ، فأكد لي أنه لم يدخل المدرسة قط وإنما تعلم الكتابة بجهوده الفردية . وكان الضيوف قد تناقص عددهم وقدّم لنا حمود عشاءنا خمس ذبائح . وقبل العشاء تنحيت جـانبـاً مـع خلف بن غـالب الجنفـاوي وسجلت منـه بعض القصص والقصائد . وبعد العشاء انفردت وقتاً طويلاً مع عايد الربوض وتحدثنا عن أنساب الزميل وتاريخهم ولم نسجل هذا الحديث ولكننا اتفقنا أن نلتقي في وقت آخر . ولم نفترق إلا بعد الساعة الثالثة صباحاً .

الاثنين ١٠/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا الساعة السادسة وبعد أن تناولنا طعام الإفطار عند حمود بن عمران غادر شيحان وعبيد الله إلى حائل واتجهت أنا والسائق والمرافق إلى موقق للبحث عن بعض الإخباريين الذين ذُكرت لنا أسماؤهم . وكان الطريق إلى موقق رملياً ولكنه ليس صعباً للغاية . وبعد أن وصلنا موقق سألنا عن الأمير غالب بن بشيّر ، فوجدناه في مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسألناه عن حمود بن خرينق الذي قيل

لنا إنه يحفظ شعر عيادة بن منيس وفهيد بن فرج الغيثي . وفي آخر لحظة صرفنا النظر عن فهيد بن فرج وذهبنا إلى بيت حمود بن خرينق ووجدناه شخصاً زمّيتاً لم يتعاون معنا وادعى أنه لا يعرف عيادة بن منيس ولا يعرف شعره . واتضح لنا فيما بعد أن السبب الذي دعا حمود إلى هذا الإنكار هو أن شخصاً يدعى مسلّم المحمد أودع السجن في حائل لترويجه شعر ابن منيس . ومعظم أشعار ابن منيس تتناول الفتن التي حدثت بين الحسينة والبريك من الخرصة من شمر .

خرجنا من موقق متجهين إلى صَهْوة التي ذُكر لنا فيها شخص قيل إنه أيضاً يحفظ شعر ابن منيس ، وهو مثقال بن محسن بن عواد من الخرصة . ومررنا في طريقنا بعدة هجر ، منها : الصنينا ودليهان والجفيفا . وذهبنا إلى منزل الأمير في صهوة عبد الله بن منزّل ولم نجده فذهبنا إلى منزل أخيه وسألناه عن بيت مثقال فدلنا عليه دون أن يذهب معنا بسبب نزاع قائم بين العائلتين . ووجدنا مثقالاً ، وهو شخص بشوش لكنه في ذلك اليوم كان منشغلاً بحفر بئر ماء في بستانه . وحصلنا منه على بعض القصائد لابن منيس لكن ليس بالقدر الذي كنا نتوقعه . وهمّ بأن يذبح لنا ذبيحة للغداء لكننا ثنيناه عن ذلك وطلبنا منه أن يعمل لنا خبزاً رقيقاً يسمى قرصان مراهيف غداء فلبى طلبنا مشكوراً وتغدينا عنده غداء لذيذاً .

بعد صلاة الظهر غادرنا صهوة متجهين إلى حائل ، ووصلنا حائل الساعة الثانية والنصف . وفي الساعة الثالثة اتجهت بمفردي إلى مضارب قبيلة الخمسان قرب قرية الجِلْف شمالي حائل للبحث عن شخص يقال له سعود بن مزيد الخُمْساني فوجدته ووجدت ابنه بايق الذي كنت أعرفه من قبل . وجلست معهم بعض الوقت واستمتعت بقهوتهم وأحاديثهم . وذكر لي بايق أنه حينما سمع بقدومي إلى حائل سجل لي شريطين من أبيه لتكون جاهزة ووعدني بتسليمهما في أقرب فرصة . واتفقنا على أن يحضرهما لي في الفندق بعد صلاة المغرب .

عدت إلى حائل وذهبت رأساً إلى بيت حَيَا بن عَبْطان الرشيدي لأستدل منه على ديار بني رشيد لأنني قررت أن أزورهم غداً وألا أنتظر حتى يوم الخميس . ووجدت في بيت حيا بعض أفراد قبيلة بني رشيد الذين وصفوا لي الطريق وصفاً دقيقاً وتقع معظم قرى بني رشيد على خط حائل ـ المدينة . وكتب معي حيا خطابي تعريف وتزكية إلى شيخ الشمل مِطْني بن دليم بن براك والشيخ بركات بن براك . وقد قررت

أن أذهب لزيارتها غداً بمفردي بدون السائق والمرافق اللذين هما من قبيلة شمر واللذين قد يؤثر وجودهما على تجاوب الرواة من قبيلة بني رشيد معنا وعلى طبيعة المادة التي يدلون بها ، كما أنني أعرف بأن الرشايدة يعرفون عن مهمتي ولا يحتاجون إلى من يعرّفهم بي وبمهمتي ، بل هم يترقبون مجيئي إليهم .

قد يرى البعض أن وجود سيارة الإمارة معنا وكذلك السائق والمرافق يضفي على مهمتنا طابعاً رسمياً يؤثر على تعاون الرواة معنا وعلى نوعية المادة وعفوية الأداء وغير ذلك من الأمور المتعلقة بموضوعية البحث والحياد العلمي . والجواب على ذلك إننا بدون مساعدة الإمارة لن نستطيع تغطية هذه المساحة الشاسعة وعلى هذا المدى الطويل . كما أن الكثير من الناس سوف يرفض التعاون معنا قطعياً ما لم نأت إليهم بطريق رسمي . فهم لا يعرفونني شخصياً ولا يعرفون شيئاً عن الجامعة ولا البحث العلمي . ووجود مرافق من الإمارة معي ضروري لتعريف الناس بمهمتي وتزكيتي عند الرواة والإخباريين . كما أن الأغلبية العظمى من الناس الذين نقابلهم في منطقة حائل من قبيلة شمر وهي القبيلة التي ينتمي إليها السائق والمرافق ، أي أن السائق والمرافق ليسوا أغراباً بالنسبة للأشخاص الذين نقابلهم ، بل إن الرواة يثقون بهما ويطمئنون إليهما . كما أنني في الحالات التي أستغني فيها عن السائق والمرافق أو أعتقد أن وجودهما سيؤثر على سير العمل أتركهما وأذهب بمفردي .

عدت إلى الفندق بعد أذان العشاء ووجدت سعيد بن فهيد الدوخي ينتظرني فجلسنا نتحدث وننتظر مجيء بايق بن سعود بن مزيد الذي وعدني بأنه سيحضر الأشرطة التي سجلها من أبيه . لكنه لم يحضر فذهبنا إلى بيت سعيد وتناولنا عشاء لذيذاً وقضينا معاً سهرة هادئة ممتعة . حينما عدت إلى الفندق بعد منتصف الليل وجدت أن بايق قد حضر بعد مغادرتنا للفندق وترك لي ورقة يتأسف على التأخير .

الثلاثاء ١١ / ١٠ / ١٤٠٤ هـ :

في تمام الساعة التاسعة صباحاً غادرت حائل بمفردي متجهاً إلى ديار بني رشيد . وتقع منازل بني رشيد على خط حائل ـ المدينة وتمتد من البركة (التي تبعد عن حائل بحوالي ١٤٠ كيلومتراً) على مسافة ستين كيلومتراً إلى الحليفة السفلى . وأهم القرى الواقعة على الطريق هي البركة والحامرية والوسيطا والقاسمية والصالحية وسْنَاف التمياط والحَمَاد والنّبَوَان . ومعظم هذه القرى لآل براك والقلادان من بني رشيد

ومن أمرائهم مطني بن دليم بن براك أمير النبوان ، وهو شيخ الشمل ، والأديهم بن ناهس بن براك أمير مراغان ، وبركات بن ناهس بن براك أمير السناف ، ودليم بن علّوش بن براك أمير الوسيطا ، وصالح بن غلاب بن جاسم بن براك أمير القاسمية ، وسويد بن راشد بن غلاب بن براك أمير الذِّكْرِي ، وخلف بن عوض بن براك أمير الصالحية ، وجميع هؤلاء يجتمعون في جاسم بن براك جدهم الثالث .

وصلت إلى الوسيطا الساعة العاشرة والنصف ، ووجدت حشداً من الرجال يتعاونون في نصب الخيام أمام منزل دليم بن علّوش حيث سيتم زفاف ابنة أخيه الأديهم على ابن الأمير ابن غلاب مساء الخميس الموافق ١٣/١٠/١٤٠٤ هـ . واستقبلني فهد بن ناهس أحسن استقبال وأخذني إلى منزل دليم بن علوش وتناولنا القهوة والشاي ، وبعد صلاة الظهر قدّموا لنا ذبيحة لغدائنا . وحينما أبديت لهم رغبتي في الذهاب إلى النبوان للسلام على الأمير مطني بن دليم قالوا لي بأنه مريض وأنه ذهب إلى المستشفى في حائل . وقبل الغداء كان قد حضر إلى منزل دليم خلف بن عوض بن براك ، وجمعان بن فالح بن داموك ، وهما من رواة بني رشيد المعدودين ، فسجلت منهم بعض القصائد والإفادات التاريخية والأنساب . وبعد صلاة العصر هبّت عاصفة رملية قوية فاضطررت إلى التوقف عن التسجيل . وكنت أنوي الإقامة بينهم حتى موعد الزفاف ولكن بسبب العاصفة ولأنني لم أجد عندهم الرواة المتميزين الذين كنت أحلم بهم فقد عدلت خطتي وقررت العودة إلى حائل في اليوم نفسه على أن أعود إليهم يوم الخميس لحضور الزواج ومقابلة الرواة الآخرين الذين سيحضرون هذه المناسبة . وبعد صلاة المغرب قدّم لنا فهد بن ناهس ذبيحة أخرى لعشائنا ، وبعد العشاء استقللت سيارتي وعدت إلى حائل ووصلت هناك الساعة العاشرة والنصف .

الأربعاء ١٢/١٠/١٤٠٤ هـ :

دق جرس الهاتف الساعة السابعة والنصف ، وكان شيحان بن ربيعة يهاتفني من بيته يدعوني لتناول قهوة الصباح عنده . ذهبت فوراً إلى بيت شيحان ووجدت هناك بعض أفراد قبيلة السويد ، وسجلت منهم بعض الإفادات عن أفخاذ قبيلتهم ووسومهم . بعد ذلك عدت إلى الفندق ، وبعد الغداء جاءني بايق بن سعود

الخمساني وسلمني الشريط الذي كان قد سجله مع والده . وجلسنا نتحدث حتى صلاة العصر وقلت له بأنني سأستمع إلى شريط والده فإن كان التسجيل جيداً وطريقة الاستجواب مرضية فإنني سأكتفي بهذا الشريط وإلا فلابد من أن أجري المقابلة مع أبيه بنفسي . وقبل أن يغادر غرفتي أخذ مني موعداً بأن أزورهم وأتغدى معهم يوم السبت الموافق ١٥/١٠/١٤٠٤ هـ .

بعد أن ودعت بايق استقللت سيارتي وذهبت إلى القاعد للسلام على الأمير طلال بن غضبان بن رمال فوجدته وجلسنا نتحدث بعض الوقت واتفقنا على أن أزوره يوم السبت الموافق ١٥/١٠/١٤٠٤ هـ لتسجيل بعض الإفادات عن قبيلة الغفيلة .

عدت إلى الفندق وجلست في غرفتي حتى الساعة الثامنة مساء ثم استقللت سيارتي وذهبت إلى الجابرية لمقابلة عايد الربوض الذي كان بيني وبينه اتفاق سابق على أن أزوره يوم الخميس لأسجل منه بعض الإفادات عن أنساب الزميل . وبما أنني سأذهب إلى ديار بني رشيد التي تبعد عن حائل حوالي مائة وستين كيلومتراً ، فقد فضلت أن أذهب الليلة إلى الجابرية وأنام هناك حتى أبدأ التسجيل مع عايد الربوض في الصباح الباكر لأتمكن من السفر إلى ديار بني رشيد والوصول هناك قبل حفل الزواج . وقد تعمدت أن أتأخر في الذهاب إلى الجابرية حتى يفوت وقت العشاء . وصلت إلى بيت عايد الربوض بعد الساعة التاسعة ووجدته جالساً مع بعض أقاربه وبعض الشعراء الذين جاؤوا من جبّة لزيارته والتعرّف عليه وهم من الشعراء الذين شاركوا في النقائض الشعرية بين شمر وعنزة . وجلسنا نستمع إلى أشرطة مسجل عليها قصائد لهؤلاء الشعراء الجالسين عند عايد وأشرطة لعايد ولأخيه راضي وكلها هجاء ضد شعراء عنزة ، وقد لاحظت أن شعراء شمر منشغلين بهذه النقائض فهي موضوع حديثهم في الجلسة هذه ، وكذلك في الحفل الذي أقامه مسند بن حنيظل .

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة دعاني عايد لتناول العشاء وقد ذبح ذبيحة جلست عليها لوحدي لأن الرجال الذين وجدتهم عنده كانوا قد انتهوا من تناول الذبيحة التي قدّمها لهم قبل مجيئي إليهم بفترة وجيزة ، هذا علماً بأنني قد تعمدت الوصول إلى بيت عايد متأخراً حتى يفوت وقت العشاء . ولكن سجيّة عايد أبت عليه إلا أن يذبح ذبيحة ليكرمني بها .

الخميس ١٣/١٠/١٤٠٤ هـ :

بعد أن تناولنا قهوة الصباح مع خبز الصاج اللذيذ بدأنا التسجيل وسجلت شريطين عن أنساب الزميل وبعض القصص والقصائد . بعد ذلك عدت إلى حائل . والجابرية تبعد عن حائل ستين كيلومتراً شرقاً . ذهبت إلى الفندق واسترحت حوالي الساعة ثم توجهت إلى ديار بني رشيد .

وصلت إلى محل العرس في قرية الحامرية بعد صلاة العصر ، وكان دليم بن علّوش في استقبالي فأجلسني وعرّفني على بعض الحضور . وبعد أن جلست وتناولت القهوة واسترحت قليلاً اقترح دليم أن أذهب إلى قهوته وأختصر مع بعض أمراء بني رشيد للحصول على بعض المعلومات عن أنساب القبيلة . لكن حالما بدأنا التسجيل حضر أناس غير الذين خصهم دليم وانفلت زمام النقاش وتحوّل إلى جدل عنيف واضطررنا إلى صرف النظر عن موضوع الأنساب وذهبنا لصلاة المغرب واقترح عقيل بن غازي بن هادي أمير الروض وأخوه سعود أن أزورهم في صباح الغد في الروض لبحث موضوع الأنساب بهدوء ، فلبيت الدعوة .

وقد حضر حفل الزواج ما لا يقل عن ألفي رجل وقابلت هناك عدداً من شيوخ بني رشيد منهم مطني بن دليم بن براك شيخ الشمل الذي دعاني لزيارته غداً في النبوان . وبعد تناول العشاء دعاني مساعد بن ناصر بن صعرور من الزبون من بني رشيد لقضاء الليلة معه في قرية مبرّز التي تبعد عن الحامرية حوالي ثلاثين كيلومتراً باتجاه الحليفة وقال لي مساعد إن أباه ناصر شيخ كبير ويحفظ الكثير من القصص والقصائد . وقد أغراني ذلك بتلبية دعوة مساعد ، كما أنني كنت متعباً وأبحث عن مكان هادىء لأنام فيه وأعرف أنني لن أستطيع النوم في مكان العرس لكثرة الناس ولأن الحفل قد يستمر حتى الفجر . ومما أغراني أيضاً بالذهاب مع مساعد أنه أبدى استعداداً لمرافقتي غداً إلى قريتي الروض والنبوان اللتين تقعان بعيداً عن بعضهما وعن خط حائل ـ المدينة والطرق إليهما غير معبّدة وغير واضحة .

حينما وصلنا إلى مبرّز وجد مساعد أباه « ناصر » نائماً فأيقظه وأحضره وسجلت منه بعض الإفادات عن فخذ الزبون الذي يرجع في الأصل إلى قبيلة عتيبة حسب إفادة ناصر . ولم يكن الشيخ ناصر راوية جيداً بالصورة التي كنت أتوقعها .

الجمعة ١٤/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا مع شروق الشمس وبعد أن تناولنا القهوة وطعام الإفطار اتجهنا في الساعة السابعة إلى قرية الروض تلبية لدعوة ابن هادي وذهب معنا سعد بن صالح بن دابس ابن عم مساعد . والطريق من مبرّز إلى الروض لا يزيد عن سبعين كيلومتراً إلا أنه كان غير معبد ووصلنا هناك بعد ساعة ونصف . وأمراء الروض ليسوا من فخذ البراك ، بل من فخذ القلادان ، وحينما بدأنا نناقش أنساب القلادان احتد النقاش ورفض سعود تسجيل المقابلة . وكان الأمير عقيل صريحاً وطيباً وصادقاً في كلامه ، أما أخواه سعود ونايف فكانا يحاولان تعديل المعلومات عن طريق الزيادة والنقصان ولم أكن مطمئناً لإفادتيهما ، لذا فإنني اكتفيت بتدوينها كتابة دون تسجيلها على شريط التسجيل .

وهناك قابلت نافع بن شباب بن نافع بن شميلان الذي دعاني لزيارتهم في الحليفة السفلى لمقابلة أبيه شباب شيخ شمل القلادان فلبيت الدعوة .

لم تتم المقابلة مع آل هادي بالطريقة التي كنت أرغبها فاستأذنا للذهاب إلى مطني بن دليم الذي كان دعاني البارحة لزيارته فرفض آل هادي السماح لنا بالمغادرة حتى نتغدى معهم ونأكل الذبيحة التي ذبحوها لنا . وتغدينا عندهم غداء مبكراً ، وفي أثناء جلوسنا على الغداء جاء أحد أبناء الأمير مطني لاستدعائنا لأننا تأخرنا عليهم . وبعد الغداء ذهبنا فوراً إلى النبوان ووصلنا هناك أثناء صلاة الجمعة .

بعد الصلاة جاء الأمير مطني وكنا ننتظره في منزله وبدأنا بتسجيل بعض المعلومات منه عن أنساب القبيلة . وحصلت مشادة بين الأمير وبين رفيقي سعود ومساعد اللذين هما من فخذ الزبون . فهما يريان أن فخذ الزبون أصلاً يعود إلى عتيبة والنوامسة يعود أصلاً إلى عنزة ، وهناك أفخاذ أخرى تنتمي إلى قبيلة بني رشيد لكنها في أصلها القديم ترجع إلى قبائل أخرى . أما الأمير مطني فإنه ينكر ذلك ولا يحبذ الخوض فيه . واتضح لي من النقاش أن الأمير مطني كان عاتباً عليَّ بعض الشيء ويرى أنه كان من الواجب عليّ أن أبدأ به قبل الآخرين بصفته شيخ شمل القبيلة ، ولم يكن مسروراً من بقائي مع الزبون طوال البارحة واليوم ، لأنه يعتقد بأنهم عبؤوا مخي بالأفكار الخاطئة عن القبيلة . ثم طلب مني أن أسمعه جميع المعلومات التي سجلتها عن القبيلة وأن أعمل له نسخاً من الأشرطة التي جمعتها من رواة القبيلة .

وكان محتداً بعض الشيء ، ويعلم الله أنني كنت مشفقاً عليه لأنه مريض ويعاني من ارتفاع في الضغط وكنت أحاول تهدئته . بل إنه حينما دعاني البارحة لزيارته ذكرت له أنني لا أريد أن أثقل عليه وهو مريض ، وكنت أخشى أن موضوع الأنساب سيثيره لأن التجربة أثبتت لي أن موضوع الأنساب من أكثر المواضيع حساسية وإثارة للجدل . لكنه أصرّ عليّ أن أزوره وأكد لي أنه لا يعير هذه الأمور اهتماماً ، وأنها لا تثيره أبداً .

وحينما هدأ الشيخ مطني بدأت أوضح له موقفي وأشرح له ملابسات الموضوع ، فقلت له إنني حينما جئت إلى بيت دليم بن علوش في الحامرية يوم الثلاثاء كنت ذهبت إلى هناك في الأصل لأطلب من أحدهم أن يرافقني إلى النبوان لأن الطريق غير معبد وغير واضح ، لكنهم قالوا بأن الشيخ مطني مريض وأنه ذهب إلى المستشفى في حائل ، وأكدوا لي بأنه إن خرج من المستشفى قبل الخميس فإنه سيحضر الزواج ، ولهذا السبب صرفت النظر عن زيارة النبوان في ذلك اليوم . أما ذهابي اليوم إلى الروض قبل النبوان فلأن ابن هادي هو الذي دعاني أولاً . أما بخصوص مبيتي عند الزبون البارحة فإنه حينما دعاني ابن هادي لزيارته في الروض ومطني لزيارته في النبوان لم ينتبه أيٌّ منهما إلى أنني شخص غريب في أرض طرقها غير واضحة وغير معبّدة . ولما عرض عليّ مساعد أن أبيت عنده ليرافقني غداً إلى الروض والنبوان لم أقبل دعوته في البداية لأنني كنت آمل أن تأتي الدعوة من مطني أو ابن هادي ، ولكن حينما قطعت الأمل اضطررت إلى قبول دعوة مساعد . أما من حيث تسجيل الأشرطة فهذا شيء مستحيل أولاً لأن الأشرطة ملك الجامعة وليست ملكي ، وثانياً لأنني لا أستطيع خرق الثقة التي منحني إياها الإخباريون الذين أسجل منهم والذين أؤكد لهم أن الغرض من التسجيل هو البحث العلمي وليس الترويج بين الناس .

وبنو رشيد عموماً أناس طيبون وصرحاء يرضون بالسرعة نفسها التي يغضبون بها ويتميزون عن غيرهم بطيب المعشر وحب المساعدة ولا يحقدون أبداً . وهم كرماء إلى أبعد الحدود إلا أن إمكاناتهم محدودة جداً ، فهم يعيشون في منطقة قاحلة وقليلة الموارد .

ويؤسفني أن أعترف بأن وجودي مع قبيلة بني رشيد سبب شيئاً من الحساسيات بين مختلف فئات القبيلة . فالقبيلة ـ كغيرها من القبائل ـ تمر بمرحلة تغير جذري

خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع مراكز النفوذ والسلطة . فالشيوخ القدماء فقد بعضهم مراكزهم وبعضهم الآخر خائف من فقدان مركزه . وهناك أناس لم يكن لهم أي نفوذ من قبل بدأوا يبرزون أخيراً كمراكز قوة لأنهم أكثر تفهماً لمتطلبات هذا العصر وأكثر تعاوناً مع السلطات المحلية . وقد كثرت في الآونة الأخيرة الطلبات للحصول على أختام رسمية لأن حصول الشخص على ختم رسمي يعني اعتراف الجهات الرسمية به كمركز نفوذ ، وبالتالي فإن توزيع هذه الأختام يعني إعادة توزيع مراكز النفوذ . وقد شعرت بهذه المشكلة من البداية ، وحاولت أن أصحح مفاهيم الناس فيما يتعلق بمهمتي وأفهمهم بأنه لا دخل لي بالإعانات الحكومية والقروض ومنح الصلاحيات الإدارية . ولكن بما أنهم لا يستطيعون استيعاب معنى البحث العلمي وفهم أهدافه ، فقد ظلوا متشبثين برأيهم واعتقادهم بأنني مندوب من الحكومة جئت أتقصى أوضاع الأمراء والمشايخ وأتباعهم . وقد رسّخ هذه الفكرة في أذهانهم أنني أسأل عن الأنساب والأفخاذ والمضارب القديمة والموارد والأمراء التقليديين وغير ذلك من المسائل التي تتعلق بالبنية السياسية والتنظيمية التقليدية للقبيلة .

وكانت قبيلة بني رشيد في السابق تسمى قبيلة هتيم ، وهذا الاسم أشبه باللقب الذي تنبزه بها القبائل الأخرى . وفي الآونة الأخيرة بدأ أفراد القبيلة يرفضون هذا اللقب ويحاولون تجاوزه لما ألصق به من الصفات السلبية . وهم يحاولون إثبات صلتهم بقبيلة بني رشيد التي تقطن السودان التي تحتل مركزاً اجتماعياً لا بأس به . ولعل هذا من الأسباب التي تجعل موضوع النسب بالنسبة لهذه القبيلة موضوعاً مفرط الحساسية وشديد الغموض وقلّ أن يتفق عليه النسابون .

وعلى كل ، فإن موضوع النسب ، سواء بالنسبة لقبيلة بني رشيد أو غيرها من القبائل موضوع أرى أنه ينبغي إعادة النظر فيه وتصحيح فهمنا له . فقد بدأت أستشف من تجربتي الميدانية أن النسب ليس شيئاً ثابتاً ونظاماً مصمتاً ومحكماً كما يعتقد عامة الناس ، بل هو نظام مرن ومتغير كغيره من النظم الاجتماعية الأخرى يمكن التحكم فيه وتحويره لخدمة أهداف معينة ويختلف فهم الناس له ونظرتهم إليه باختلاف أغراضهم وأهدافهم . وبالإضافة إلى نسب الدم هناك نظام « الصايح » وهو أشبه بالحلف ويعني القوم الذين صيحتهم واحدة ، أي يلبون نداء « الصايح » منهم وإن كان نسبهم غير واحد . ومن وسائل الضبط والتحقيق في بحث الأنساب السؤال أيضاً عن المشايخ التقليديين والموارد والديار ووسوم الإبل .

بعد أن انتهيت من تسجيل أنساب قبيلة بني رشيد من الأمير مطني جاء الراوية عوض بن سمير الذي سجل لنا بعض القصص والقصائد التي تتعلق بتاريخ القبيلة . وبعد أن تناولنا العشاء عند الأمير مطني قبيل أذان المغرب توجهنا إلى الحليفة تلبية لدعوة ابن شميلان . وتبعد النبوان عن خط الأسفلت حوالي أربعين كيلومتراً ، ثم هناك حوالي أربعين كيلومتراً على خط الأسفلت إلى الحليفة باتجاه المدينة .

كان موعدنا مع نافع بن شباب بن شميلان بعد صلاة العصر لكننا لم نصل هناك إلا قبيل أذان العشاء ووجدنا الأمير شباباً وابنه نافعاً وبعض أفراد قبيلة القلادان في انتظارنا . وبدأنا بتسجيل بعض الأخبار والأشعار عن قبيلة بني رشيد من سعود بن ثامر بن سعيده ، وهو من الإخباريين الجيدين . واتضح لي أننا لن نتمكن من تسجيل أنساب القلادان في هذه الليلة لأننا انشغلنا بتسجيل ما عند سعود بن ثامر من قصص وقصائد . وحيث إنه كان عندي موعد سابق مع سعود بن مزيد الخمساني وطلال بن غضبان بن رمال غداً فقد ذكرت للأمير شباب بأنني مضطر للرجوع إلى حائل الليلة ووعدته بالعودة يوم الأحد لنستكمل التسجيل . حينما جئت من النبوان إلى الحليفة كان يرافقني مساعد بن ناصر وسعد بن صالح ، وكان مساعد هو الذي يقود السيارة . وبعد وصولنا إلى الحليفة استأذنني مساعد وسعد في العودة إلى أهلهما بالمبرّز التي تبعد عن الحليفة حوالي خمسين كيلومتراً لأن أحد أبناء سعد مريض ولأن الحليفة تقع على خط حائل ـ المدينة ولا أحتاج فيها إلى سائق ودليل . فأذنت لهما وأوصلهما أحد أبناء الأمير شباب إلى قريتهما . وحينما ودعت الأمير شباب بعد منتصف الليل وهممت بالعودة إلى حائل اكتشفت أنني نسيت مفتاح السيارة مع مساعد بن ناصر . لذلك اضطررت أن أبيت عند الأمير شباب وأغيّر من جدولي ، حيث لم يكن بإمكاني الآن أن أفي بوعدي مع سعود المزيد وطلال بن رمال .

السبت ١٥/١٠/١٤٠٤هـ :

في الصباح الباكر واصلت مع الأمير شباب وبعض أفراد قبيلة القلادان بحث الأنساب واستغرق منا ذلك بعض الوقت . أثناء ذلك ذهب أحد أبناء الأمير لإحضار مفتاح سيارتي من مساعد بن ناصر ولم يعد إلّا قبيل الظهر ، وقال : إنه وجد مساعد الذي لم ينتبه إلى أن مفتاح سيارتي معه كان قد ركب سيارته ليسافر إلى المدينة المنورة ، ولو تأخر ابن الأمير قليلاً لكان مساعد قد سافر إلى المدينة ومعه المفتاح . وبعد الغداء عدت إلى حائل ووصلت هناك حوالي الساعة الرابعة عصراً .

بعد أن استرحت قليلاً في غرفتي ذهبت للجلوس في صالة الفندق وجاء لزيارتي نايف بن معلّث المقوعي وبصحبته حمود بن مفلح الرشيدي ودعاني نايف لتناول العشاء عنده مساء الغد ووعدني بإحضار أبيه الذي يعد من أشهر شعراء بني رشيد في الوقت الحاضر . وبعد ذهابهما حضر لزيارتي سعيد بن فهيد الدوخي الذي قال لي إن مساعيه مع ابن مصيخ لم تفلح ولم يستطع إقناعه لتسجيل ما لديه من أشعار وأخبار . وفي تلك الليلة هاتفني شيحان بن ربيعة الذي قال لي إنه عثر على فهيد بن فرج الغيثي الذي أبدى استعداده لتسجيل ما عنده من قصص وقصائد .

حينما وصلت إلى غرفتي عائداً من الحليفة الساعة الرابعة عصراً كنت في غاية الإرهاق الجسمي والنفسي فجلست أستعرض في مخيلتي أحداث هذه الرحلة الميدانية والإنجازات التي حققتها حتى الآن .

الرحلات الميدانية التي أقوم بها لجمع الشعر النبطي أتاحت لي الفرصة لعقد صداقات وعلاقات وثيقة مع بعض شيوخ القبائل وأمراء المناطق والشعراء والرواة وأناس آخرين أتشرف بمعرفتهم وأعتز بصداقتهم . كما تمكنت من خلال هذه الرحلات التعرّف عن كثب على فئات وطبقات معينة من المجتمع السعودي لا سيما أبناء البادية وأهل القرى النائية والاطلاع على أسلوبهم في التفكير وطريقتهم في الحياة . ولا أبالغ إذا قلت : إن أمتع الأيام هي تلك الأيام التي أقضيها في الصحراء أستمع إلى أبناء البادية ينشدون الشعر ويروون القصص البطولية التي تحكي أمجاد الماضي بما فيه من نخوة وشهامة وفروسية وكرم .

لكن العمل الميداني فيه مصاعب ومتاعب جمّة . أبدأ العمل في أغلب الأيام من الساعة السادسة صباحاً حتى منتصف الليل بدون انقطاع ومعدل ساعات النوم اليومية تتراوح من أربع إلى ست ساعات فقط . والسفر لمسافات طويلة على طرق صحراوية غير معبدة تحت أشعة الشمس المحرقة وفي سيارة غير مكيفة أمر متعب . وخلال الرحلة الميدانية التي تستمر لعدة أسابيع عليَّ أن أقابل عدداً كبيراً من الرواة وجموعاً من الناس يختلفون في أمزجتهم وفي مستوى النضج والإدراك . وعليَّ أن أقابل الجميع ببشاشة وأتعامل معهم بلطف وأجاملهم في كل شيء وأندمج معهم حتى أخلق بيني وبينهم جوّاً من الألفة والوئام وحتى لا أفقد ثقتهم وتعاطفهم . والقيام بهذا الدور على الوجه المطلوب ولفترات طويلة يستنفد الكثير من الطاقة

النفسية والعاطفية . كما أن الجلوس في مكان معين وفي وضع معين ومحاولة التركيز والاستيعاب والظهور بمظهر الإنسان اليقظ المتنبه طوال ساعات النهار فيه ما فيه من الإجهاد الذهني والجسدي . ولكم تمنيت أن أخلو بنفسي ولو لساعة واحدة أنعم فيها بالهدوء والراحة لأستجمع قواي وأسترد نشاطي .

وحينما نتحدث عن متاعب العمل الميداني لا بد أن نتطرق إلي موضوع الأكل والشرب . لا شك أن العربي مضياف بطبيعته لكن أبناء البادية في شمالي المملكة العربية السعودية يبزون الجميع في الكرم لا من حيث كمية الطعام التي يقدمونها ولا من حيث البشاشة التي يستقبلون بها ضيوفهم . لكن ابن المدينة المترف قد تكون له ملاحظات على طريقة إعداد الطعام وتقديمه ، خصوصاً فيما يتعلق بأمور الصحة والنظافة .

حينما يفد ضيف عزيز إلى إحدى القرى أو مضارب البادية فإن العادة تقتضي بأن يستضيفه الجميع ويدعونه لتناول القهوة والشاي في بيب كل منهم ، واحداً بعد الآخر . وقبل القهوة يقدم المضيف إناء كبيراً فيه تمر حويل وفي وسطه وعاء صغير من السمن . والطريقة المتبعة أن يقدم هذا الإناء إلى كل واحد من الضيوف فيأخذ بين أصابعه قطعة من التمر ويغمسها في السمن ويأكلها ، وهكذا حتى يكتفي . وكلما قلّت كمية التمر أو السمن فإنه يضاف إليها كميات أخرى دون أن يغسل الإناء أو يستبدل به غيره ، مهما طالت المدة . وبطبيعة الحال فإن التمر والسمن يكتسبان مع مرور الوقت لوناً وطعماً ورائحة غير مقبولة لدى الإنسان الذي لم يتعود على هذا النوع من الطعام . وخلال رحلاتي الميدانية كنت أمرّ بهذا الموقف يومياً . ومن باب المجاملة واحترام شعور المضيف كان عليَّ أن أتناول شيئاً من التمر وأحتسي كميات لا بأس بها من القهوة والشاي ، مما له أثر غير حميد على معدتي وأعصابي ، خصوصاً الشاي الذي يضعون فيه كميات هائلة من السكر .

وأهل الحاضرة متعودون على شرب الماء عذباً بارداً صافياً نقياً من الشوائب وفي إناء نظيف ، وهذا قلّ ما يتوفر في البادية . ومن عادات الضيافة في البادية أن المدعوين دائماً أعدادهم كبيرة جداً . وبعد أن يتناول الجميع القهوة والشاي يكون المضيف قد أحضر إناء صغيراً فيه قليل من الماء ليغسل الأكواب جميعها في هذا الماء القليل الذي يتحول لونه إلى مزيج من لون القهوة والشاي . ويستمر في تغسيل

الأكواب في هذا الماء وإعادة سكب القهوة والشاي لضيوفه في الأكواب نفسها . وبعد أن يتناول الجميع الطعام يكون المضيف قد أعدّ جردلين صغيرين أحدهما فيه ماء ممزوج بالصابون والآخر فيه ماء بدون صابون ليغسل الضيوف أيديهم في الأول لإزالة الدسم وفي الثاني لإزالة الصابون . ولكن بعد أن يغسل خمسة من الضيوف أيديهم في الجردلين يتسخ الماء في كليهما ويصبح من الصعب تمييز أحدهما عن الآخر . ولا شك أن هذه الممارسات مردها إلى قلة الماء في الصحراء .

وكان الناس في السابق يقدمون الطعام على سفرة مصنوعة من الخوص . وبعد الانتهاء من الأكل ينفضونها ويعلقونها مبسوطة بدون ثني . أما الآن فإنهم تخلّوا عن السفرة وبدؤوا في استخدام السماط المصنوع من الباغة الرقيقة . والسماط يحتاج إلى غسل جيّد بالماء والصابون بعد الاستعمال ثم ينشر ليجف . أما أهل البادية والقرى فإنهم يكتفون بنفضه ثم يطوونه على ما علق به من الدسم وفضلات الطعام ، لذا فإن هذه الأسمطة تصبح رائحتها نتنة وحينما تفل ويوضع عليها الطعام ويتقدم الضيوف للأكل تقابلك رائحتها الكريهة التي تصد الشهية عن الأكل .

وتختلف نوعية الأكل في البادية عنها في الحاضرة . فأهل البادية لا يعرفون تنويع الوجبات وتكاد الفاكهة والخضروات أن تكون معدومة عندهم . ويتألف طعامهم في الغالب من الأرز واللحم وفي الصباح يأكلون خبز الصاج . وقلما يخلو الطعام في الصحراء من الرمل ، خصوصاً حينما تهب العواصف الرملية ، لذا يصعب مضغ الطعام مضغاً كافياً لما تسببه حبيبات الرمال من ألم للأضراس ، وهذا بالتالي يعني أن المعِدة لم تتمكن من هضمه بسهولة . ومن الطريف أن لبن الإبل الذي كان يعتبر الغذاء الرئيس للبدو في الزمن السابق لا يوجد الآن إلا عند بعض الطبقات الارستقراطية في الحاضرة التي صارت تعتبر تربية الإبل والخيل رمزاً من رموز الجاه والغنى .

والاختلاف الواضح بين نوعية الطعام الذي اعتدت عليه وبين ذلك الذي أحصل عليه في أثناء رحلاتي الميدانية ، بل حتى بين أنواع الأطعمة التي أتناولها في أثناء الرحلة ، له أثر سيء على عملية الهضم والإفراز التي تتراوح بين الإمساك والإسهال ، ولا شيء أكثر مضايقة من الإسهال في الصحراء ، حيث لا ماء ولا مراحيض .

ولكن مهما كانت المتاعب ومهما كانت المصاعب التي أواجهها من حين إلى آخر خلال العمل الميداني ، فإن الصورة التي تظل عالقة في الذهن ، والانطباع الذي يبقى بعد أن يزول النصب وأنسى التعب هو الكرم الذي يتميز به أهل الشمال عموماً وأهل الجبلين خصوصاً . لا شيء أعز عند ابن الشمال وأحب إلى نفسه من إكرام الضيف وتوفير الراحة له . فهم لا يزالون ينحرون الإبل لضيوفهم بالإضافة إلى الأغنام ويدفقون السمن عمداً على الطعام مبالغة في إكرام الضيف . وتجد أمام بيوتهم جفاناً كالجوابي (الحجاري) ودسائع ضخمة (الصينية أم وكر) يعدّونها للولائم . وبعضهم لا يتورع عن نحر الذبائح حتى في وجبة الإفطار الصباحية ، ولم يمر يوم من الأيام لم أشاهد فيه مظهراً من مظاهر الكرم يثير الدهشة والعجب . فعلى سبيل المثال دعينا العام الماضى على الغذاء فى أحد مضارب البادية عند الأمير مطلق بن هتاش بن رمال فنحر لنا الذبائح ، وبعد أن تناولنا الغذاء بدأنا نتجاذب أطراف الحديث وكان بين الجالسين بعض الشعراء والرواة الذين أمتعونا بسرد الحكايات ورواية القصائد فمرّ الوقت سريعاً ولم نشعر إلا وقد قاربت الشمس على المغيب ، فقام صاحب البيت على غير علم منا فنحر لنا مرة أخرى ، علماً بأننا أكّدنا له سلفاً بأننا لن نمكث للعشاء .

ومظاهر الكرم عند أهل الجبلين لا تنحصر في نحر الذبائح وتقديم الطعام ، فالشيء الذي يهز النفس ويمس الشعور هو طقوس الضيافة ومراسيم الاستقبال . فما أن يرى صاحب المنزل ضيفه قادما حتى يحث الخطى لاستقباله بوجه مشرق وأسارير متطلقة وابتسامة عريضة وتنهال من شفتيه كلمات الترحيب التي أعدت خصيصاً لهذه المناسبة ، ثم يجلس صاحب المنزل ضيفه في مجلس وثير بحيث يتكيء على يده اليسرى حتى تكون يده اليمنى حرّة لتناول القهوة والطعام ومصافحة القادمين . ويبادر المضيف بتقديم التمر والسمن إلى ضيفه . وأثناء ذلك يكون أحد أولاده قد حرث الوجار وأشعل النار (حيث لا مواقد كهربائية ولا غاز) مستعملاً المنفاخ لتأجيجها وقام يغلي الماء وحمس البن بالمحماسة وسحنه بالهاون بإيقاعات جميلة قلّ من يتقنها في هذا الوقت ، ويعتنون بعمل القهوة عناية فائقة ، فبالإضافة إلى الهيل يطعّمونها بقليل من الزعفران والقرنفل . وحتى طريقة سكب القهوة فن خاص لا يجيده إلا من تمرّس فيه .

وعنصر الكرم من أهم عناصر الحياة الاجتماعية في منطقة الجبلين وقد كيّفوا حياتهم على ذلك ، فنجد مثلاً أن القهوة دائماً جاهزة والنار لا تطفأ أبداً ، وقد سمعت أن هناك من الأخيار من لم تنطفىء ناره منذ مائتي سنة . وإذا ما حدث أن توقفنا لنسأل عن الطريق أو عن شخص ما ، فإن المسؤول حتى وإن كان طفلاً صغيراً أو امرأة يبادرنا بقوله : « تفضلوا ، اقلطوا ، القهوة زاهبة ، والله ما تسيرون إلا أنتم آخذينْ فنجال » .

وفي بعض القرى والهجر تجد أن مجالس الرجال (القهاوي) بدون أبواب ، وقد ذكر ذلك زيد الخوير من أهالي قفار في قصيدة له ، حيث يقول : إن ناره لا تخبو وبابه مفتوح (مبرهج) بحيث لا يضطر الزائر إلى طرقه بعقب سيفه ، حيث كانوا قديماً يحملون السيوف :

دْلال ما عنهن سنا النار طافي	بوجار من لا دونهن بابهن جيف
مْبَرْهَجٍ تَسْفَى عليه السوافي	من خلقته ما طِقّ في ركزة السيف

الأحد ١٦/١٠/١٤٠٤هـ :

جاءني السائق والمرافق الساعة الثامنة صباحاً وذهبنا إلى مضارب قبيلة الخمسان قرب الجلف حوالي ثلاثين كيلومتراً شمال حائل . ووجدنا هناك سعود المزيد ولم نجد ابنه بايق ، واعتذرت لهم عن عدم مقدرتي على الالتزام بموعدي معهم بالأمس . وسجلت من سعود شريطاً كاملاً عن أنساب قبيلة الزميل وبعض القصص والقصائد التي تخص قبيلة الخمسان . وقبيل أذان الظهر ودّعناهم عائدين .

وحينما وصلنا حائل ودعت السائق والمرافق وذهبت إلى غرفتي فوجدت بايق كان قد جاء لزيارتي ولما لم يجدني ترك لي ورقة يستفسر فيها عن سبب تأخري عنهم بالأمس وذكر لي أنه كان دعا مشايخ الخمسان الذين حضروا من أماكن بعيدة لمقابلتي وذبح ثلاثاً من الضأن ، وهذا ما ذكره لنا أبوه في الصباح .

وبعد أن تناولت الغداء ذهبت بمفردي إلى الحفير بحثاً عن عبيد بن عردان الذي سبق أن قابلته عند حمود بن عمران وذكر لي أنه يعرف بعض القصص والقصائد وأن في حوزته عدداً من الأشرطة التي قد تصلح لي . وحينما وصلت الحفير كان مثل أحد أبناء الأمير درزي بن عردان قد أولم وليمة كبيرة فتغذيت معهم . وبعد الغداء أخذني

عبدالله بن عردان إلى بيت أخيه عبيد الذي لم يحضر الوليمة لأنه كان نائماً . وذهب معي إلى بيت عبيد وارد بن ركاد الزميلي الذي سجلت منه بعض الإفادات عن قبيلة الزميل وأنسابها . وبعد أن انتهينا من التسجيل كان عبيد قد استيقظ فتحدثت معه بعض الوقت واستمعنا إلى بعض الأشرطة . وبعد العصر قفلت راجعاً من الحفير إلى حائل بعد أن وعدت عبيد بأنني سوف أزوره بعد يومين أو ثلاثة ووعدني بأنه سوف يسجل لي بعض الأشرطة .

بعد صلاة المغرب ذهبت إلى بيت نايف المقوعي ووجدت عنده أباه معلث وحمود بن مفلح وتباحثنا عن أنساب بني رشيد وسجلت من معلث بعض القصائد التاريخية التي تخلد أفعال بني رشيد بالإضافة إلى بعض القصائد التي نظمها هو بنفسه . وبعد أن تناولنا العشاء عدت إلى الفندق .

الاثنين ١٧/١٠/١٤٠٤ هـ :

رن جرس الهاتف الساعة السادسة والنصف صباحاً وكان شيحان بن ربيعة يدعوني لمرافقته مع أناس آخرين لقضاء نزهة برّية وسط جبال أجا . وارتديت ملابسي وذهبت إلى بيته . وبعد شيء من التأخير استقللنا السيارات واتجهنا إلى المكان المحدد ، وكان الطريق وسط الجبال الصخرية غير معبد ومتعباً جداً ، لكن المناظر الخلّابة والهواء العليل وقصص شيحان أنستنا التعب . وبينما اتجه رفاقنا إلى المكان المحدد للنزهة اتجهت أنا وشيحان إلى مكان يقال له جرغ قرب قرية موقق لمقابلة أحد الرواة ويدعى فهيد بن فرج الغيثي الذي كان شيحان قد اتفق معه بالأمس على أننا سنزوره اليوم . وحينما وصلنا فهيد وجدناه في انتظارنا وقد علق الذبيحة وسلخها لغدائنا ، علماً بأن رفاقنا الذين تركناهم وراءنا قد ذبحوا أيضاً ذبيحة لغدائنا . وسجلت شريطاً كاملاً من فهيد لكنه ليس راوية جيداً ، ويبدو أنه كان مرتبكاً بعض الشيء وكان كثير النسيان . وهو يصم القصائد صمّاً لكنه لا يعرف مناسباتها ولا معاني كلماتها . وبعد أن تناولنا الغداء عنده قفلنا راجعين إلى رفاقنا ووجدناهم يطبخون الذبيحة ، ونمت قليلاً ، وفي الساعة الرابعة والنصف كان الغداء جاهزاً فتغديت أنا وشيحان معهم للمرة الثانية . وبعد ذلك عدنا إلى حائل وذهبت إلى الفندق واسترحت قليلاً . وفي المساء ذهبت إلى منزل نزال أبو صقر وسجلت منه بعض الإفادات عن قبيلة الغفيلة . وكان مشعان بن مسحل السويدي

موجوداً فسجلت منه شيئاً من القصص والقصائد . وعدت إلى الفندق بعد منتصف الليل .

الثلاثاء ١٨ / ١٠ / ١٤٠٤ هـ :

في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر جاءني السائق وذهبت لزيارة طلال بن عضبان بن رمال في هجرة القاعد ووجدته كعادته بشوشاً متهلل الأسارير . وتحدثنا في أمور عامة ، وكان قد صحبني في هذه الرحلة أحد سكان حائل ويدعى محمد بن عيسى الهذال (أبو نواف) وهو راوية غزير الحفظ لكنه رفض التعاون معنا ورغم محاولاتي العديدة معه فإنه رفض التسجيل . وبعد صلاة العصر بدأ الناس يتوافدون على مجلس طلال كما جرت العادة . وسجلت من طلال شريطاً كاملاً عن أنساب الغفيلة عموماً والرمال خصوصاً . وبعد صلاة المغرب تناولنا طعام العشاء وقفلنا راجعين إلى حائل .

وصلنا حائل الساعة العاشرة ليلا فاتصل بي حمود بن مفلح الرشيدي وطلب مني الحضور إلى منزله لمقابلة بعض أفراد قبيلته والتحدث إليهم . وذهبت ولم أعد إلا الساعة الواحدة ليلاً .

الأربعاء ١٩ / ١٠ / ١٤٠٤ هـ :

اتصل بي سعد بن دابس من الزبون في غرفتي من صالة الفندق الساعة التاسعة والنصف وكنت قد لقيته البارحة عند حمود بن مفلح واتفقنا أن يأتي إليَّ في الصباح للذهاب إلى أحد مشايخ بني رشيد في حائل لنأخذ منه بعض المعلومات عن أنساب عشيرته . ولم نجد الشخص المذكور في بيته لأننا تأخرنا عن موعدنا معه ، لكنني جلست أنا وسعد في بيت الرجل وسجلت من سعد بعض الإفادات عن فخذ الزبون من بني رشيد .

وعدت إلى الفندق الساعة الثانية عشر . وحالما دخلت غرفتي طرق الباب ولما فتحت قابلني شخص قال بأنه أحد أفراد فخذ الهبدان من القلادان من بني رشيد سمع بي وجاء من هجرته التي تبعد عن حائل مائتي كيلومتراً ليدلي ببعض الإفادات عن أنساب قبيلته . فرحبت به وأجلسته في الغرفة وسجلت منه ما لديه من معلومات . وقد أدهشني بقدرته العجيبة على حفظ الأسماء ومعرفة الأنساب .

في الساعة الثانية بعد الظهر ذهبت إلى بيت المرافق حود العبدالله الشمري الذي عمل وليمة كبيرة على شرفي ودعا إليها عدداً كبيراً من جماعته . وبعد العصر ذهبت مع المرافق والسائق وشيحان إلى الحفير لزيارة عبيد بن عردان . وجلسنا عند عبيد حتى الساعة العاشرة والنصف ليلاً ولم نجد عنده بغيتنا من القصص والقصائد . وهناك قابلنا عارف ولد الأمير درزي بن عرفان الذي وعد بأن يبعث لي بمخطوطة تحتوي على أشعار الرشيد . بعد ذلك سرينا إلى حمود بن عمران بالنفود ونمنا عنده .

الخميس ٢٠/١٠/١٤٠٤ هـ :

بعد أن أفطرنا عند حمود بن عمران ذهبنا إلى بيت مشعان بن مسحل الحمزي السويدي في مضارب قبيلة السويد في بطن حبران وكان قد نحر جزوراً وأعد وليمة كبيرة لأفراد عشيرته وكنا ضمن المدعوين . وحضر الوليمة ما لا يقل عن ١٥٠ شخصاً وكان عدد السيارات حوالي ٤٠ جيباً . ويتألف الغداء من ست صوانٍ كبيرة (أم وكر) . وبعد الغداء سجلت شريطاً من مشعان وشريطاً من محمد بن عبهول عن قصص الجربان ، وكان ابن عبهول راوية جيداً . واتفقت معه أنه حينما يأتي إلى الرياض سوف يتصل بي عن طريق مطلق العبيكة لأسجل منه المزيد من القصص والقصائد ، ولكي يعرفني على بعض أفراد قبيلة شمر من العراق وسورية الذين لهم عوائد عند آل سعود ويحضرون سنوياً لاستلامها ويقيمون في الرياض شهراً أو شهرين ويكون مجيئهم بعد عودة الوزارات من الطائف . وأمضينا يوماً ممتعاً عند مشعان وذهبنا من عنده الساعة العاشرة ليلاً ووصلنا حائل الساعة الواحدة ، حيث إن معظم الطريق كان وسط النفود وغير معبد .

الجمعة ٢١/١٠/١٤٠٤ هـ :

جاءني المرافق والسائق الساعة التاسعة وذهبنا إلى المعترضة التي تبعد عن حائل حوالي ١٠٠ كيلومتر . وحينما وصلنا توقفنا عند أحد البيوت لنسأل عن بيت دبيس بن علوي الذي كنا متوجهين إليه أساساً فلزّم علينا أصحاب البيت لتناول القهوة فنزلنا عندهم . ولحسن حظنا وجدنا عندهم خلف بن غالب الجنفاوي الذي كنا ننوي الذهاب إليه في بلده غمرة التي تقع وسط جبال سلمى والطريق إليها بعيد وغير معبد . وجلسنا نسجل من خلف وتغدينا عند أهل البيت وهم من الأسلم من جماعة خلف . وبعد صلاة العصر وذهبنا لزيارة دبيس وجلسنا عنده وتحدثنا لكننا لم

نسجل منه شيئاً ، حيث لم نجد عنده ما يستحق التسجيل . بعد ذلك عدنـا إلى مضيفنا وتعشينا عنـده واستكملنا التسجيـل من خلف بن غالب . وبعـد العشاء ودعناهم وذهبنا إلى الروضة لمقابلة الراوية عبدالعزيز بن سعـود الجلعود . وقبـل وصولنا إلى الروضة توقفنا على جانب الطريق ونمنا حتى الصباح .

السبت ٢٢/١٠/١٤٠٤ هـ :

حينما استيقظنا في الصباح ذهبنا إلى منزل عبـدالعزيـز بن سعود الجلعـود في الروضة ووجدناه في انتظارنا وكنا قد قابلناه ليلة البارحة ، حيث دعاه مضيفنا إلى العشاء لمقابلتنا واتفقنا معه على موعد اليوم . بعد أن تناولنا الفطور وقهوة الصباح بدأنا التسجيل من ابن جلعود ، وبعد صلاة الظهر قدّم لنا غداء فاخراً . ثم اتجهنا إلى الجحفة في جبال سلمى لمقابلة عواد بن فرج بن خربوش ورافقنا ابن جلعود . وكان الطريق غير معبد ولم نصل إلى الجحفة إلا بعد صلاة العصر ، وكنا قد عرجنا في طريقنا على قرية دغنون ، حيث يسكن مزيد بن صلفيق الذي قال عنه المرافق حمود العبدالله إنه راوية جيد ، لكننا وجدناه قد تقدمت به السن ونسي ما عنده ، فلم نمكث عنده طويلاً .

حينما وصلنا قرية الجحفة توقفنا لنسأل عن عواد بن خربوش ، ولحسن الحظ كان البستان الذي توقفنا عنده بستان عبدالله أحد أبناء عواد ، فنزلنا عنده وأرسل أحد أبنائه للبحث عن أبيه . وقبل أن تسنح لنا الفرصة لنخبر عبدالله أننا ننـوي العشاء في حائل كان قد ذبح الذبيحة . حينما جاء عواد شرحت له مهمتي واقترح أن نذهب إلى مكان هادىء وسط النخيل لنسجل هناك ، ولكن بعد أن استمعت إلى الشريط الذي سجلته منه اكتشفت أن زقزقة العصافير التي تتجمع وسط النخيل قبيل غروب الشمس تكاد تغطي على صوت عواد . ومعظم الشريط الذي سجلته من عواد يحتوي على قصائد أبيه فرج بن خربوش . ويتميز عواد بجودة الإلقاء والحفظ لكنه لا يرغب إلا في تسجيل القصائد التي يمتدح ناظموها عبدالعزيز بن سعود ، ويتحاشى المواضيع الأخرى .

بعد أن صلينا صلاة العشاء قدّم لنا عبدالله بن خربوش عشاءنا وغادرنا متجهين إلى حائل ووصلنا هناك الساعة الحادية عشرة والنصف .

الأحد ١٤٠٤/١٠/٢٣ هـ :

هذا هو آخر يوم لي في حائل . جاءني المرافق والسائق في الفندق الساعة التاسعة صباحاً لإنهاء حساباتهما معي وتسليم كل منهما إقراراً خطيّاً مني ليقدماه للإمارة يثبت أنهما عملا معي خلال هذه الفترة . وفي الساعة العاشرة ذهبت إلى الإمارة لأودعهم وأشكرهم على ما قدموه لي من تسهيلات . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر غادرت حائل متجهاً إلى الرياض . وصلت الرياض الساعة العاشرة ليلاً .

three appendixces are included in this monograph. The first appendix is a complete catalogue of one of the tapes collected in a project called "Collecting Nabati Poetry From Its Oral Sources". The second appendix is a copy of the proposal I had submitted to the Research Center at the College of Arts at King Saud University to finance the aforementioned project. The third appendix is the field notes I took during a field trip to Hayil Region in the month of Shawwal 1404 A.H.

Saad A. Sowayan, Ph. D.
King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

الملخص الانجليزي :

Collecting Oral Traditions

This monograph deals with the various procedures followed in the collection of oral literary material, with special emphasis on the collection of the oral poetry of Arabia, locally known as Nabati poetry.

Folklore research is no longer merely the collection of bare texts. More and more, field workers are beginning to pay close attention to the life histories of their informants and to the sociocultural milieu of their material. No modern folklorist can afford to ignore the social setting and performance context in which his informants operate and from which they draw their lore. The introduction of mechanical aids such as the tape recorder and the camera in the field has revolutionized field-work methods. Learning how to operate and maintain this equipment has become a necessary part of the training of field workers in folklore.

Other issues addressed in this paper are making advance preparations before going into the field, the finding of informants, establishing and maintaining rapport with them, conducting interviews, and constructing methods of processing and archiving the collected material. The final part of this work examines fieldwork methods employed by the ancient Arab philologists to show that fieldwork is not a European invention of the twentieth century.

To give the reader an idea of how to process the collected material, how to apply for funds, and how to write field notes

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
[٣٠٨] لســــــنة ١٩٨٥ م

مطابع قطر الوطنية
تليفون : ٤٤٨٤٥٤ ـ ص . ب : ٣٥٥ الدوحة ـ قطر